بيسان كانت

للكاتب

عزت الدسوقى

اسم الكتاب : بيسان كانت

اسم الكاتب : عزت الدسوقي

تصميم الغلاف : مي مجدي

تدقيق لغوي وتنسيق : نورهان هاني

رقم الإيداع : ٢٠٢٥/٢٣٧٤م

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٨٧٩١-٧٦-١

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

بيسان كانت

مؤسسة
الكاتب
العربي
The Writer Operation

إهداء

إلي حرائر فلسطين ، إلي النساء والفتيات اللاتي تجرعن كأس الفقد للأب والأخ والابن والحبيب والزوج ،وهن صامدات ،لم تزيدهن آلام الفقد إلا قوة وتجلدا وتمسكا بالأرض حتى الموت

إلي روح الشهيد البطل يحيي السينوار

أهدي روايتي (بيسان كانت)

عزت الدسوقي

١- وعد بلفور وضياع فلسطين

التاريخ يقول بلا أدنى شك أن فلسطين أرض عربية، بها المسجد الأقصى اولى القبلتين ،وثالث الحرمين ،وهى أرض مقدسة لدى المسلمين ،والمسيحيين ،واليهود ،وليس لليهود أي حق فيها سوى المزارات اليهودية لهم حق زيارتها ،وظلت كذلك حتى جاءت دعوة تيودور هرتزل الصحفي النمساوي اليهودي الذي نادي بإنشاء وطن قومي لليهود ،وقد لاقت هذه الدعوة من يسمع لها في أوربا،ربما رغبة من دول أوربا في الخلاص من اليهود من أوطانهم حتى جاءت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ وجاء وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا المشئوم عام ١٩١٧وبموجبه أعطى من لا يملك لمن لا يستحق وتضمن هذا الوعد إنشاء وطن قومي لليهود في أرض فلسطين ، فإسرائيل هذه نبت شيطاني أوجده الغرب ليكون شوكة في ظهر العرب ويكون يده التي تبطش بالعرب أن أراد العرب أن يكونوا أمة قوية ، ولم يقبل العرب أن تكون لإسرائيل إقامة دائمة في أرض فلسطين وتجمعت الجيوش العربية لمحاربة إسرائيل،ولكن الخيانة من بعض الحكام أضاعت فلسطين في عام النكبة ١٩٤٨ وبدأت دولة الاحتلال في توطيد ركائز دولتها والتوسع على حساب أصحاب الأرض حتى صاروا غرباء في وطنهم ،مما دفع الكثير منهم إلى النزوح إلى بلدان أخرى سواء بلدان عربية أو أوربية وبقى من آمن بقضية الأرض وحقه في الدفاع عن أرضه المسلوبة ،وهم ما يعرفون بعرب ٤٨ ومرت السنون وجاءت نكسة يونيه ١٩٦٧ لتسيطر إسرائيل على شبه جزيرة سيناء المصرية ،وهضبة الجولان السورية

،وجـزء مـن الأردن ، ومسـاحة أكبـر مـن ارض فلسـطين الحبيبـة ،وسرعان ما استعادت مصر عافيتها ووقفت الدول العربية في ظهرها واستطاعت مصر أن تحطم أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وان تقطع الـذراع الطويلـة لإسـرائيل وبـدأت مفاوضـات السـلام ،وكانـت مصـر تطالب بسلام عادل وشامل وحلا للقضية الفلسطينية والعودة إلى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧،والذي يضمن للفلسطينيين ثلثي مساحة فلسطين واتهم العرب مصر بالخيانـة وقطعت غالبيـة الـدول العلاقـات مع مصر ،ولكن مصر مضت فـي خطـوات السـلام منفردة واسـتعادت كامل أراضيها ،وظلت الأبواق العربية تتحدث وتطالب ولا أحد يسمع ،ولـم تسـمح إسـرائيل بعـودة الفلسـطينيين إلـى أراضـيهم ،وظلـت الفئـة المؤمنة بأحقيتهم في وطنهم من أبناء فلسطين داخل أراضيهم رغم مـا يذوقون من ويلات الاحتلال ومن هؤلاء الذين لم يخرجوا مـن ديـارهم أسرة العلوي ذلك الرجل الذي آمن بقضية وطنه وحقه فـي الـدفاع عن أرضه حتى الموت أو الاستقلال التام لبلاده ، وكانت أسرته قليلة العدد فلم يرزق من الأبنـاء سوى ولـد واحـد هو طوقـان ،وسـرعان مـا شـب الفتى وصـار رجلا وأنضم إلى مجموعة ممن يـدافعون عن فلسطين ، وزوجـه والـده وأنجـب طوقـان ولـد أسـمه نـاجى وفتـاة اسـمها بيسـان ، ورحل والده بعد أن عاهده ولده أن يظل مدافعا عن أرضه حتى الموت أو التحرير ،وظـل طوقـان وفيـا لعهـده حتـى استشـهاده فـي داره وهـو يدافع عن عرضه وأرضه.

٢- استشهاد طوقان

رغم الاحتلال الصهيوني وما لديه من عتاد وجنود لم يهنأ يوما في أرض فلسطين ،وكان الشباب يسانده الشيوخ والنساء داخل فلسطين وخارجها ، ويدعمونه بكل ما يستطيعون عمله يقود حركة مقاومة مستمرة ، ولكن ككل المجتمعات في كل العصور كان هناك الجبناء والمأجورين الذين اختاروا خيانة الأوطان وباعوا الشرفاء من بني وطنهم بثمن بخس ،فكانوا يدلون للعدو بأسماء أفراد المقاومة متى عرفوا من هم مقابل ما يلقون إليهم من أموال ملوثة.

وكانت عمليات المقاومة قوية وموجعة للمحتل الغاصب ،وما أن يصل إلى العدو اسم بطل من أبطال المقاومة حتى ينزل المحتل الغاشم به العقاب الذي يتنافى مع كل الأديان السماوية والأعراف والمواثيق الدولية ،ومن بين من نالتهم يد الغدر والخيانة اسم طوقان العلوي هذا الشاب الثلاثيني الذي شارك في أكثر من مائة عملية فدائية ناجحة كان لها أثرها الطيب على الشعب المقهور ،ولها أثرها على العدو فقد تكبد الكثير من القتلى حتى صار طوقان العلوي هدفا لدى العدو واعتبره العدو صيدا ثمينا ينبغي القضاء عليه ،مهما غلا ثمنه.

وحين علمت الأجهزة الصهيونية من عميل لها بتواجده في داره إلا وأعدت حملة كبيرة لمحاصرة داره وانطلقت في سرعة خاطفة وقامت بتطويق داره واقتحامه دون مراعاة لحرمة الديار ،وتمكن بعض من جنود الاحتلال من الإمساك به وتقييد يديه ،وبدأ كالعادة محاولة المقايضة معه بأن يدلى بأسماء رفاقه مقابل حياته ،ولم يكن طوقان بذلك الرجل الذي يدلى بأسماء رفاقه بل كان كالأسد الجسور ولم يتوقف لحظة عن نعت العدو بأبشع العبارات ومؤكدا لهم أن فلسطين لن تموت مهما قتلوا من أبطال ففي كل يوم يولد ألاف الأبطال ،وبصق على وجوههم ، ولما لم يفلح أسلوب الإغراء مع طوقان بدأ العدو في إذلاله وكثر أنفه بأن أمسك الجنود بزوجته ومزقوا ثيابها قطعة تلو أخرى حتى صارت عارية،عارية تماما ،وهو يصرخ ويبصق على وجوههم القذرة ولم يترك هؤلاء الجرذان الدار إلا بعد أن اغتصبوا زوجته أمام عينيه وقبل انصرافهم ترك الجبناء الرجل وزوجته وقد أطلقوا عليهما رصاص الغدر والخسة من بنادقهم ليسقطا شهيدين ، ويخلفان طفل وفتاة صغيرة لم يصلا إلى العاشرة من عمرهما ولم تشفع صرخات الصغار للأب أو الأم لدى الجبناء ليظلا على قيد الحياة ،وعاش الصغيران ناجى وبيسان في كنف أحد أقربائهم حتى اشتد عود الفتى وعاد إلى دارهم وبيسان معه وقد نذر الفتى حياته للثأر لأمه وأبيه وأنضم إلى صفوف الفدائيين الأبطال ،يعمل بالنهار في وسط اليهود وينقض ورفاقه ليلا لتنفيذ العمليات التي يكلفون بها ،ولم يكن شيء يشغل بال الفتى سوى مصير أخته لو حدث

له مكروه ،فقد كان هذا الأمر يجعله يرغب في زواجها إلى رجل يثق في رجولته ويطمئن على أخته في داره ،ولم يكن له حظ أفضل من حظ أبيه فقد وشى به العملاء والخونة ،حتى استطاع العدو أن يلقى القبض عليه ويزج به في غياهب سجونه ،ويظل سنوات خمس حتى يموت في السجن وتعلم أخته بوفاته وتظلم الدنيا في عينيها ،لتواجه الحياة بمفردها ،تتولى شئون نفسها بنفسها ،وتنفق على نفسها نتاج عملها ،بجانب دراستها،ومن بين رفاق ناجى رفيق كفاحه محمد الفالح ،الذي كان يسأل عن بيسان بين الحين والحين وكم حدثها الفالح عن بطولة ناجى ،وكان هذا الحديث ،أعذب ما تحب سماعه ، وشعر كل منهما بالارتياح لصاحبه ،بل قل نبت الحب في قلبيهما ، وفاتح الفالح بيسان في طلب يدها للزواج ،بعد أن أحس أن له قبول لديها ،لم ترفض طلبه ،لكنها طلبت فترة للتفكير والرد ،على أن يمهلها بعض الوقت لتحدد موقفها ،وتعلن مهرها ،وانتظر الفالح حتى أبلغته أن يأتي ليسمع منها.

٣- خطبة بيسان

أبلغت بيسان نفر من أقاربها بقدوم الفالح ومعه نفر من أهله لخطبتها ،وعليه ينبغي حضورهم للحديث معهم ،وفى الموعد حضر الفالح ومن معه ،واستقبله من كان موجود ببيت بيسان من أهلها ،ودار الحديث بينهما ،واتفقا على كل شيء ،وحين تحديد موعد الزفاف ، تحدثت بيسان بعد أن استأذنت من الحاضر من أهلها في شرطها للزفاف ،وأصغى الجميع لشرطها فقالت :

شرطي يا فالح أن يكون زفافنا يوم أن تثار لأخي ،صاحبك ،ورفيق كفاحك يا فالح ،أنت تعرف من قتل أخي في سجنه ،وليكن قتله مهري ،ويوم زفافي وعم الوجوم على المكان ،وساد الصمت حتى قطع فالح هذا الصمت بقوله :

أعدك يا بيسان ،وأشهد الله ،ثم الحاضرين على ذلك.

وانصرف الجميع ،وظلت بيسان في حيرة مع نفسها تتساءل : هل ما طلبته من الفالح يحق لي طلبه ؟هل يستطيع الفالح أن يحقق لي ما أصبو إليه ؟ هل أنا بدافع حبي لأخي أدفع الفالح إلى الموت ؟ هل سيتحقق أملى ؟ أم سوف أضيف إلى صفحات الحزن صفحة جديدة ؟

لم تنم بيسان في ليلتها.

وعند الصباح كم تمنت لو يأتي الفالح ،وتخبره بالموافقة على الزفاف ، وأن يكون وعده لها أن يثأر لأخيها ناجى،متى حانت الفرصة لذلك ، وألا ينسى دمه ليته يأت ، لكنه لم يأت.

مر أسبوع كامل دون رؤية الفالح أو سماع خبر عنه ،حتى جاء قرب المساء ،ووجهه متهللا ،وألقى التحية عليها ،وقال : أبشرى يا بيسان ،لقد تم تحديد الهدف وتحديد مكان تواجده بعد أسبوع كامل من الرصد ،والليلة التنفيذ ،الليلة أسدد مهرك ،الليلة تنامين مستريحة النفس ،الليلة يرقد ناجى مستريحا في قبره ، اختلط عليها شعور الفرح ونشوة الانتصار بشعور الخوف والقلق على الفالح ،ولم تنطق بكلمة.

قطع الفالح الصمت وقال : جئت أخبرك ،وأودعك ،ونظر إليها وهم بالانصراف ،وكان ينتظر كلمة منها ، تماسكت وتمالكت نفسها وقالت : الله معكم ،الله ينصركم ،عد لي يا فالح ،أنا انتظرك تحرك ولوح لها بيديه ،وهو يلتفت خلفه نحوها حتى استدار بوجهه بعيدا عنها ،وكان فى كل خطوة يخطوها كأنما يأخذ جزء من روحها ،حتى بعد عنها ،واستجمعت بيسان قوتها.

ونادت عليه بكل عزمها : يا فالح ،توقف ،ونظر إليها فإذا هي تركض نحوه ،وتفتح ذراعيها ،وتضمه إلى صدرها ،وتقبله ،وتقول عد لي يا فالح ،أنا سوف انتظرك ،لا اله إلا الله ،يحتضنها ويردد ،محمد رسول الله ،انطلق الفالح وترك بيسان ،وقد ملأت الدموع عينيها، وعادت بخطى ثقيلة إلى الدار ،وقد خاصم الوسن جفنها ،تترقب وتنتظر ،ماذا سوف يحدث ؟

عند الصباح تشاهد في التلفاز العملية التي تمت وقد بثها الإعلام الصهيوني وتتحدث عن عملية إرهابية – هكذا كان بنى صهيون يطلقون على كل عملية استشهادية عملية ارهابية - استهدفت ثلاثة عناصر اسرائيلية وقتلتهم ،والقضاء على منفذي العملية ،وما إن رأت

صـورة فـالح وقـد أصـابه وابـل مـن الرصـاص أودى بحياتـه ،إلا وأصابتها حالة من الخرس المؤقت ،ولم تنطق بكلمة،وانتابتها حالة مختلطة من الفرح لثأر أخيها ،وحزنها لفقد حبيبها ،وخرجت مع المشيعين لجثمان الشهداء ،وها هم قد التف على جسدهم الطاهر علم فلسطين والكل يردد (لا الله إلا الله ،الشهيد حبيب الله) وانطلق لسانها وقد فك اعتقاله يردد مع الجموع (لا الله إلا الله ،الشهيد حبيب الله) ،وفى أعماق نفسها تصرخ صامتة أواه يا فالح ،أواه يا حبيبي.

عادت من الجنازة المهيبة للشهداء ،والتي شارك فيها كل الحي وأحياء أخرى - ويعتبر عدم المشاركة في جنازة الشهداء نقيصة وقلة وطنيـة - ،وكثيـرا مـا تخـتلط أصـوات الصـريخ ،والزغاريـد فـي الجنازة الواحدة.

يا لنساء وفتيات فلسطين من عزيمة ،لا يفلها الحديد ،ولا يفتت في صلابتها الحزن ،عادت بيسان ،وما عاد العيش بهذه الديار يطيب لها ،فقد فقدت الأب ،والأم، والأخ ،والحبيب.

فقررت أن تعد نفسها للخروج ،ولم تكن قد حددت وجهتها ،وبعد تفكير ومشاورات مع نفر من أهلها قررت ان تكن وجهتها إلى أرض الكنانة ،مصر الحبيبة.

٤ - في مصر

استطاعت بيسان بعد معاناة مع سلطات الاحتلال أن تحصل على تصريح بالسفر إلى مصر ،وكانت قد تواصلت مع بعض ممن تعرفهم من أبناء شعبها والذين قد استقروا في مصر منذ زمن ،وذلك لاستقبالها ،ومحاولة البحث لها عن فرصة عمل تكفى لحياة مقبولة وخصوصا أنها كانت قد حصلت على شهادة جامعية لدراسة الحاسوب من جامعة فلسطينية ،وكانت بيسان تتمتع بمظهر جميل ولديها ثقافة واسعة وتجيد استخدام الكمبيوتر، وصلت بيسان إلى مصر من خلال معبر رفح البرى ،وواصلت رحلتها حتى القاهرة ،وهناك كانت في ضيافة من تواصلت معهم لبضعة أيام حتى دبرت سكنا متواضعا وبقيمة ايجارية معقولة ،وترددت على أكثر من مكان تقدم فيه أوراقها طلبا للوظيفة ، حتى وفقها الله في الحصول على وظيفة لم تكن بمستوى طموحها ،لكنها قبلت العمل ولو بشكل مؤقت حتى تحين لها فرصة أفضل وعملت كمدخل بيانات في شركة تعمل في مجال التصدير والاستيراد ،ولم تجد صعوبة في التعامل مع المحيطين بها في العمل ،بل أنها لم تشعر بالغربة نهائيا ،وكانت تشعر أن مصر بلدها الحقيقي ،وكانت ماهرة في عملها حتى نالت إعجاب صاحب الشركة وقد كان رجلا في الخمسين من العمر تبدو على ملامحه الجدية ويمتاز بالثقافة الواسعة وحسن السمعة ،وتقديره للعمل والمجيدين له ،إلا أنه كان كثير السفر ، وقد كان مدير الشركة هو من يسير أمور العمل بها ،وكان الاحتكاك بينهما طوال الوقت واسمه

دياب ، كان دياب هذا رجلا في الأربعين من عمره خريج كلية التجارة وحاصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال وكان شخصا طموحا وهو محل ثقة صاحب الشركة وكان يتمتع بشخصية قوية ووسامة فائقة ،وكانت ابتسامته دائما حاضرة ، ولم تكن بيسان تتحدث معه إلا في حدود عملها ،ومع الوقت كان يطلبها أحيانا في مكتبه ويسألها عن أمور تتعلق بالعمل ،ويطيل الحديث معها ، وبين الكلمات تخرج لفظة غزل لم تكن تغضب منها في بادئ الأمر ،وزادت كلمات الإعجاب ،وأصبحت المغازلة تصريحا لا تلميحا ،وبدأت تشعر بالضيق ،ولم تعد قادرة على الاستمرار في هذا الوضع ،ولما لم يصبح أمامها من خيارات سوى مجاراته والاستسلام له أو ترك العمل فقررت الانسحاب بهدوء وتقدمت باستقالتها من العمل ،ولم تتراجع عنها رغم سؤال صاحب الشركة لها عن أسباب الاستقالة ،فقد اختلقت أسباب له دون أن تتطرق إلى السبب الحقيقي ،وبدأت في رحلة البحث من جديد عن عمل ،لكنها ومن خلال فترة عملها بالشركة التي قاربت على العام قد أكسبتها علاقات مع بعض العملاء مما جعل إمكانية البحث عن عمل أيسر من المرة الأولى ،ولم تحتاج إلى وقت كبير حتى حصلت على وظيفة سكرتيرة في إحدى الشركات ،وبأجر أعلى مما كانت تتقاضاه.

بدأت بيسان مهام عملها الجديد ،وكالمعتاد كانت البداية طيبة ،وسرعان ما أيقنت أن صاحب الشركة يحتاج إلى سكرتيرة وأشياء أخرى ،وكأن جمالها كان نكبة عليها ،وتركت العمل ولكنها قررت ألا تعمل في شركات أخرى وأيقنت أنها سوف تكون مطمع أينما وجدت ،وحين تقابلت مع إحدى الفتيات الفلسطينيات التي كانت تعرفها من أيام الجامعة واسمها نرجس ووجدتها في وضع مادي يفوقها بكثير ،وحين سألتها عن عملها أخبرتها أنها تعمل راقصة في ملهى ليلى قالت أنه محترم!! ،وأنها ليس لديها مانع أن تتحدث إلى صاحب الملهى بشأنها لتعمل معها ،وحين رأت زميلتها الغضب في عيني بيسان ،مازحتها قائلة : الحكومة المصرية ليس لديها فرص توظيف للمصريين وهم من خريجي الجامعات وحملة الماجستير والدكتوراه ،ونحن لا يحق لنا التوظيف الحكومي ،وحين حاولت العمل في القطاع الخاص ،كان مطلوب منى أن أقدم تنازلات ،أقسم لكي لا أقدمها في الملهى الليلي ،لا تغضبي من حديثي ولكنى تأكدت أن الشعب المصري يقدس النساء والطعام ،ونصيحتي إليك لو أنك ترفضين التنازلات في العمل فلا ترهقين نفسك في البحث عن عمل ،فكل الرجال دياب ،وان طال صبره ،وان كان ما عرضته عليك لا يلقى قبولا في نفسك فاني أنصحك بالسفر إلى دولة عربية أخرى قد تجدين فيها ما ترتاحين إليه تركتها بيسان وانصرفت ،وفكرت فيما حدثتها به زميلة دراستها وابنة وطنها وقررت أنها سوف تبحث عن فرصة للسفر إلى إحدى دول الخليج فربما تجد لنفسها فرصة عمل مناسبة.

٥ ـ الكويت الحارقة

قرأت بيسان إعلانا في الصحف لمدرسة خاصة في الكويت تطلب مدرسين لمادة الحاسب الالى ،ووجدت الشروط المطلوبة تنطبق عليها ،فما كان منها إلا أن جهزت أوراقها ووضعتها في مظروف وأرسلته إلى العنوان المذكور ،وبعد بضعة ايام جاءتها رسالة بموعد ومكان المقابلة الشخصية ،وذهبت بيسان في الموعد والمكان المحددين وتمت المقابلة ،وتم قبولها ووقعت العقد مع المدرسة ،وتجهزت للسفر ،وسافرت إلى الكويت وتسلمت عملها بمدرسة القادسية المتوسطة للبنات بمنطقة جليب الشيوخ ،وقامت بإيجار سكنا بالقرب من المدرسة مع مدرسة تونسية بذات المدرسة تعمل منذ ثلاثة أعوام سابقة ، وكانت زهراء التونسية على قدر من الجمال وقدر أكبر من التحرر والسفور ،وهى في ذات الوقت على قدر من الثقافة الواسعة ،وكانت تؤمن بحرية المرأة ،لكنها رغم أنها تنتسب إلى الديانة الإسلامية إلا أنها لا تأبه بدين أو شرع ،وكانت معظم الأيام بعد العودة من الدوام تخرج ولا تعود إلا في ساعة متأخرة ،وأحيانا كانت تمضى ليلتها خارج السكن وتلتقي بها بيسان في المدرسة ،ولاحظت بيسان أن ما تنفقه زهراء من نفقات لا يتناسب مع راتبها رغم أنها لا تمارس عملا أخر ،وكانت بيسان تحاول أن تصلح من شأن زهراء وتأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان ،في حين زهراء تحاول أن تأخذ بيسان نحو عالمها الذي لا تعرف بيسان عنه شيء ،وذات ليلة خرجت بيسان وزهراء لتناول العشاء في أحد المطاعم ،ثم ذهبا إلى مكان لتناول القهوة على ضفاف الخليج ،وهناك وجدت بيسان شخصا ذا مهابة ينظر إليها نظرات فاحصة طويلة ،ثم أشار إلى زهراء وانتقلت إليه ودار حديث بينهما ونظراته كلها نحو بيسان ،وعادت زهراء إلى مقعدها.

وسألت بيسان : أتعرفين هذا الرجل يا زهراء

زهراء : نعم أعرفه ،انه مسئول كبير في إدارة المرور ،ولدينا معرفة سابقة ،وهو لا يتأخر عن قضاء أي خدمة أطلبها منه ،وهو رجل يعطى بسخاء.

- لكنه كان ينظر ناحيتي أثناء حديثك معه.
- أنه معجب جدا بجمالك ،ويريد أن يتعرف عليك.
- وماذا بعد ؟
- أنا أري أنك لن تخسري شيئا لو تعارفتما.
- أنا لم أفهم بعد.
- ألم نأت للكويت من أجل المال.
- نعم ،ماذا تعني ؟
- أليس هؤلاء هم من يملكون المال والسلطة ،فلنحصل على الأموال والخدمات مقابل بعض التنازلات.
- أرجوك هل بإمكانك أن تتحدثين بوضوح أكثر.
- إن ما يدفعه مثل هذا الرجل في سهرة واحدة ،يعادل مرتب شهر كامل ،ولو كان الأمر على قدر المرتب ما كان بالإمكان أن اركب مثل هذه السيارة ،ولا أعيش بهذا المستوى الذي أعيش فيه ،ولن أمضى حياتي هنا ،أنى أحاول اختصار سنوات الغربة وأعود إلى وطني ،أكمل حياتي ،وبعدها سوف تنسى الكويت بما لها وما عليها ،ونظرت في وجه بيسان ،فوجدت الدموع تتساقط من عينيها ،فربتت على كتفها ،وسألتها : ما بك يا بيسان.
- لا شيء ، أنت ترغبين أن تنهي عملك ،وتعودين إلى وطنك ،أما أنا بلا وطن.
- كل أرض العروبة وطنك يا بيسان.

مسحت بيسان دموعها ، وطلبت من زهراء القيام من هذا المكان ،ولم تتردد زهراء في ذلك وظهر عليها علامات التأثر من حديث بيسان ،وركبا السيارة وانطلقا ،كانت بيسان ترغب في العودة إلى السكن ،لكن زهراء أرادت ألا تعود وبيسان بهذه الحالة ،وفى إحدى الحدائق جلسا ،وما أجمل ليل الكويت فهي في الليل رائعة ، لكنها في النهار حارقة ،وحاولت زهراء أن تخرج بيسان من حالتها، ومدت يدها إلى بيسان بسيجارة فأخذتها وأشعلت لها السيجارة وسرعان ما بدأت تسعل بيسان فهي المرة الأولى التي تدخن فيها ،وتحدثت زهراء في موضوعات أخرى وبين الحين والحين تطلق دعابة عابرة ،حتى أخرجت بيسان من حالتها ،وكان الوقت قد تأخر فانطلقا إلى السكن ،وفى العودة قامت زهراء بشراء بعض الحاجيات للسكن من طعام وشراب ،وفى السكن خلدت بيسان للنوم.

لكن النوم خاصمها ،ومر برأسها شريط حياتها الذي لا تنساه قط ،بل تحاول النسيان من خلال بذل طاقتها في العمل ،واسترجعت بذاكرتها ،اغتصاب أمها ،وموت والدها ،واستشهاد شقيقها ،واستشهاد خطيبها ،وإقامتها في مصر ،وما عرضته عليها زميلة دراستها من بني وطنها ،وها هي اليوم زهراء تعرض عليها ما هو أسوء مما عرض عليها ،يبدو أن عقول رجال عروبتنا لا تحمل إلا عشق الأنثى ،وكأن عقولهم في فروجهم ،وليس في رؤوسهم ،وقررت في نفسها أن تكمل عامها وتغادر الكويت بغير رجعة ، ولكن إلى أين الرجوع ؟

إلى مصر ،فهي لا تحتاج إلى تأشيرة دخول بل تفتح ذراعيها للقادم إليها وهى البلد الذي لا تشعر فيه بالغربة ،ولا يفرق قانونها بين المصريين والوافدين مهما كانت جنسياتهم ،كما وأن الحياة فيها أرخص من أي دولة أخرى ،ورجالها يحاولون لكنهم لا يتطاولون ولا يغتصبون ،كان هذا قرار بيسان بغير رجعة.

وفى الصباح استيقظت زهراء ، واعدت طعام الإفطار ،وأيقظت بيسان وكان باديا عليها التعب والإرهاق جراء سهرها ليلة البارحة ،وبعد تناول الشاي ، حاولت زهراء أن تعيد على بيسان عرضها في التعرف على مسئول البارحة ،لكن بيسان طلبت منها ألا تحاول معها ليظلا على علاقتهما ،ونزلت زهراء على رغبتها ،وأخذت حمامها وتزينت وخرجت للقاء تعارف جديد سبق وأن حددت معه موعد سابق.

٦ - العودة إلى مصر

انتهى العام الدراسي وتقدمت بيسان باستقالتها – فقد كانت مصممة على ألا تتنازل عن شرفها أو تقدم تنازلات من أجل الكسب - ،وحملت حقيبتها وعادت إلى مصر ،كانت الفترة التي أمضتها في مصر قد أكسبتها معرفة بالفنادق قليلة التكلفة وحجزت بأحدها ثلاث ليال ،واستطاعت خلالهما أن تتواصل مع مكتب لتأجير الشقق ،واستأجرت شقة بمنطقة فيصل بمحافظة الجيزة ،وهى منطقة تجمع بين هدوء المكان نسبيا ورخص الأسعار ،وشهامة أبناء البلد ،ولم تجد صعوبة في الحياة فيها ،وبعد أن أخذت قسطا من الراحة بدأت رحلة البحث عن عمل ،وحصلت على عمل بشركة تملكها سيدة أربعينية تعمل في مجال التصدير والاستيراد،تدعى أحلام ،وكانت سيدة أعمال ناجحة ،تتمتع بالذكاء الحاد ،والجمال الفاتن أيضا ،وكانت أرملة توفى عنها زوجها تاركا لها ثروة لا بأس بها ، وولد وطفلة لم يتجاوز عمر الابن الأكبر عشر سنوات ،وبعد وفاته قررت أن تعطى كل وقتها لعملها وطفليها ،وعملت مقابلة مع بيسان ،توسمت فيها النجاح وأنها الشخص الذي تبحث عنه ،وحددت لها راتبا مجزيا ،وكان راتبها الشهري يكفى للإيجار ونفقاتها الشهرية وكان كافيا لتوفير حياة كريمة ،وكانت سعيدة بالعمل بالشركة فلا مضايقات ،ولا تحرش إلا بعض كلمات الإعجاب والغزل من نفر ممن يتعاملون مع الشركة ،لكنها لم تكن تتجاوز حدود الكلمات ،وكان التفاني والمهارة في العمل هما جواز المرور لتعبر بيسان إلى قلب أحلام صاحبة الشركة ،فكانت

تكثر الثناء على عملها ،وزاد الارتباط بينهما ،فكانت العلاقة بينهما أقرب إلى الصديقات من الموظف وصاحب العمل وزادت ثقة أحلام في بيسان ،حتى أنها كانت تفوضها في بعض الأعمال الهامة ،وتسند لها بعض المهام الكبيرة ،وكانت الشركة قد افتتحت فرعا لها في المملكة العربية السعودية بشراكة سعودية وكان السيد سلطان هو الشريك السعودي وكان رجلا ودودا ،تشعر أنك تعرفه منذ زمن حين تراه للمرة الأولي ،وكان قد زار القاهرة عدة مرات والتقى وبيسان أكثر من مرة سواء في الشركة في القاهرة ،أو خارج الشركة في أمور تتصل بالعمل ،وطلب من شريكته أن توفد بيسان إلى فرع الشركة بالسعودية لتنظيم بعض الأمور والاستفادة بخبرتها،وذلك لمدة ثلاثة شهور،ورغم حاجتها إلى بيسان إلا أنها استجابت لطلب شريكها.

وذلك لأمرين : **أولهما** – الاطمئنان على أوضاع الشركة هناك ولاسيما أنها كانت تعتبر بيسان ممثلا لها.

ثانيهما – استفادة بيسان بفارق الراتب بين مصر والسعودية لاختلاف سعر صرف الريال السعودى مما ينعكس على حياتها ايجابيا.

بدأت بيسان في الاستعداد للسفر ،وأخبرت حارس العمارة التي تسكن بها أنها سوف تسافر في مأمورية خاصة بعملها وسوف تغيب ثلاثة شهور ،ودفعت إيجار الشهور الثلاثة مقدما وأضافت إليه مبلغا للحارس وأوصته بالشقة ،وأتمت أوراقها وسافرت إلى مدينة الرياض السعودية ،وأوصلتها أحلام إلى المطار ،وزودتها بنصائح عدة.

٧ - في بلاد الحرمين

وصلت بيسان إلى مطار الملك خالد الدولي بمدينة الرياض السعودية – وهو من أجمل المطارات - ،وكان السيد سلطان شخصيا في استقبالها وسائق من الشركة ،رحب بها في أرض المملكة العربية السعودية وكان استقباله لها ليس استقبال صاحب عمل لموظف بشركته ،بل كان أشبه باستقبال ضيف عزيز عليه ،وأنهت أوراق دخولها واصطحبها إلى حيث إقامتها ،فقد كان قد أعد لها سكنا من غرفتين بإحدى البنايات على مقربة من الشركة وقد زودها بما تحتاج إليه من المأكل والمشرب الذي يكفى لعدة أيام ،وكرر الترحاب بها ،وترك لها رقمه السعودي وزودها بشريحة سعودية ،وطلب منها أن تتصل به في أي وقت متى احتاجت شيء ،وتركها للراحة وأخبرها أن السائق سوف يمر عليها في الصباح لتوصيلها إلى مقر الشركة،وترك لها مظروفا به ألف ريال سعودي.

ودعته بيسان ،وأغلقت الباب ورتبت حاجاتها ، وتناولت طعامها ،وأخذت حماما ،وخلدت إلى النوم.

استيقظت بيسان كعادتها مبكرا ،وتناولت إفطارا خفيفاً وفنجاناً من القهوة ،وارتدت ملابسها ،وتجهزت وانتظرت السائق ،وعند الساعة الثامنة صعد إليها السائق ونزلت معه وتحرك بها نحو الشركة ،لم تكن المسافة بين السكن والشركة تزيد عن عشر دقائق ،وصلت إلى الشركة وعند مكتب سلطان ،طرق السائق الباب ودخلت ،ألقت التحية وأذن لها بالجلوس ،وتناولت معه مشروبا ساخنا ،وحدد لها مهام

عملها ،والمطلوب تدريب الموظفات عليه ،واصطحبها إلى المكتب المعد لها،وعرفها علي العاملين بالمكتب ،وطلب إليهن تقديم كافة السجلات التي تطلبها الآنسة بيسان ،وأن يكون التعاون معها في أعلي درجاته ،وأخبرها بأن الدوام في الشركة يبدأ من الساعة التاسعة صباحا حتى الثالثة عصرا عدا يومي الجمعة والسبت ،وأن السائق سيكون معها في القدوم والذهاب،وتركها مع فريق العمل المساعد لها وعاد إلى مكتبه.

طلبت بيسان من نغم وهى إحدى الموظفات بالمكتب أن تقدم لها معلومات عن العمل وكيفية تنظيمه ،وكانت تسمع مصغية لها ،وتدون بعض الملاحظات ،ثم طلبت بعض الملفات ،وبدأت في قراءتها ،وبدأت في إعادة ترتيب النظام ليكون أشبه ما يكون بالنظام في مصر ،وأمضت يومها حتى مواعيد الانصراف ،واصطحبها السائق إلى السكن ،وترك لها رقم هاتفه لو احتاجت إلى أي شيء ما عليها إلا أن تتصل به ،وهو لديه تعليمات من السيد سلطان بتلبية جميع احتياجاتها ،لم يكن اليوم مرهقا بالنسبة لها ،تناولت الغداء وأسلمت إلى النوم بعض الوقت ،وعند المساء تحدثت إلى أحلام في القاهرة وحدثتها عن رحلتها منذ وداعها في المطار حتى لحظة الحديث إليها مرورا باستقبال سلطان لها وعن السكن وعن الشركة وعن بعض الأمور المختلفة عن مصر ،وحدثتها عن رغبتها في توحيد نظام العمل في فرع الرياض والقاهرة ،وتمنت لو طلبت أحلام من سلطان ربط المكتبين ببعضهما الكترونيا ليسهل على كل منهما سواء أحلام أو

سلطان الوقوف على أي معلومة يحتاج إليها دون الرجوع للطرف الأخر ،وطلبت أحلام فرصة لدراسة الموضوع وإبداء الرأي بالموافقة أو عدمها ،وأنهت حديثها مع أحلام ،وتأهبت للخروج ومحاولة التعرف على مدينة الرياض في المساء ،والتعرف على أقرب الأماكن لشراء بعض احتياجاتها المنزلية متى احتاجت ذلك ،أغلقت شقتها ونزلت إلى الشارع ومرت بعدد من المحال القريبة وتعرفت على أقرب فرن للخبز مجاور للسكن ،وأقرب محل بقاله (التموينات) ،وفى أثناء سيرها مرت بإحدى المتنزهات فجلست مستمتعة بالجو الجميل وتناولت قهوتها ،ولم تتعرض إلى أي مضايقات أو معاكسات رغم الأعداد الغير قليلة الموجودة بالمتنزه ،وفى حوالي العاشرة عادت إلى السكن ،وتناولت عشاءا خفيفا ونامت.

وكالمعتاد استيقظت وأخذت حماما وتناولت إفطارها وقهوتها وارتدت ملابسها ،وانتظرت السائق أمام البناية ،وفى موعده كان أمامها ،وتحركت إلى الشركة ،ومرت على مكتب سلطان ،لم يكن قد حضر بعد ،تحركت صوب مكتبها وبدأت في استكمال عملها ،ووضعت الخطوط العريضة لبرنامج التسجيل ،واستعانت بنغم ،وكانت فتاة ذكية توسمت فيها سرعة الفهم دون غيرها ،واستمرت في العمل قليلة الكلام ،حتى بدأت نغم تحادثها ،وتثنى على حسن عملها ،ودقتها ،وسؤالها عن كل صغيرة وكبيرة قبل تسجيلها ،وشعرت بيسان بإمكانية الصداقة مع نغم فقد أنست لها ،وسألتها نغم :

- هل هذه أول مرة تزورين السعودية.

■ نعم ،هي المرة الأولى لي.

- هل تودين أن تكون بداية العمل ، عمرة ،وزيارة الحرم المكي؟

■ نعم أتمنى ،ولكن كيف ؟ ،وظروف العمل كم ترين.

- يمكنك الذهاب مساء الخميس ،والعودة مساء الجمعة.

■ وهل هذا الوقت كاف لذلك.

- نعم كاف ،كل ما عليك الحجز مع مجموعة.

■ من أين يكون الحجز ؟

- لا عليك ، سوف أمر عليك في المساء ،ونخرج معا ،وسوف أقوم بذلك معك.

■ أرجو ألا أكون مثقلة عليك.

- لا ،لا.

أنهت بيسان يومها ،وعادت إلى السكن ،وتناولت الغداء ،وأبدلت ملابسها ،وتجهزت للخروج مع نغم ،في الموعد المحدد كانت نغم بسيارتها أسفل البناية ،فقد أرسلت لها الموقع ،ودقت على هاتفها فقد تبادلا الأرقام في العمل.

صحبت نغم بيسان وانطلقا في شوارع مدينة الرياض ،وقد طافت بها أماكن عدة ،وكانت بمثابة المرشد السياحي لها ،وفى احد المكاتب الخاصة بتنظيم هذه الرحلات ،سجلت بياناتها وحجزت ودفعت المبلغ المحدد ،وفى العودة أشترت ملابس تصلح للعمرة ،وتناولا الكنافة النابلسي والقهوة وعادت بيسان إلى السكن.

لـم تكـن بيسـان قـد رأت سـلطان طيلـة يومهـا،ولم يسـأل عنهـا ،وأخرجـت هاتفهـا للاتصـال عليـه ،ولكنهـا تراجعـت ،وقامـت إلـى سريرها ،وفـى الصباح ذهبت إلـى عملها ولـم تلق سلطانا فـي يومها أيضا ،وأنهت عملها وعادت إلى السكن وتجهزت لرحلة مكة.

وفى مساء الخميس تحركت بيسان صوب مكة المكرمـة واستقلت الحافلة في أول زيارة لها إلـى الحرم الشريف ،وكانت حريصـة علـى الاستمتاع برحلتها ،وفـى الطريـق تناولـت بعض الطعـام والقهـوة فـي أكثر من استراحة كلما وصلت الحافلة إليها ،وقبل مكة بحوالي خمسين كيلو مترا تنقص أو تزيد قليلا فيما يسمى الميقات توقفت القافلـة وكـان قبيل الفجر ،واغتسلت وارتـدت ملابس الإحـرام وأعلنت نيتهـا للعمرة (لبيك اللهم عمرة عن نفسي) وصـلت ركعتين ،وعـادت إلـى مقعدها وتحركـت الحافلـة حتـى توقفـت قـرب الحـرم المكـي ،وبـدأت بالتلبيـة والطواف حول الكعبة سبعة أشواط واختلط الدعاء بالبكاء وهـى تدعو لأبيها وأمها وشقيقها بالرحمـة والمغفرة ، ولـم تنس الفالح فـي دعائهـا ،وتـدعو لنفسـها بالسـتر والصـحة فـي الـدنيا ، وبـالمغفرة والجنـة فـي الآخرة ،وأدت الصلاة ركعتين عند مقـام إبـراهيم ،وسعت بين الصـفا والمروة سبعة أشواط ،ثم بعد ذلك قصت وتحللت من الإحرام ،وخارج الحرم قامت بجولة في المحـال حـول الحـرم واشـترت بعض الحاجـات البسيطة ،وعادت إلى الفندق للراحة وعادت للحرم أدت صلاة الجمعة وبعـدها تناولـت الغـداء بالفنـدق وخلـدت للنـوم حتـى قبيـل المغـرب وتحركـت الحافلـة عائـدة إلـى مدينـة الريـاض ،ودقـت علـى نغـم قبـل وصولها فكانت في انتظارها عند موقف الحافلات،وحين وصلت كانت السـاعة تقتـرب مـن العاشـرة صـباحا ، واصـطحبتها إلـى سـكنها

واستراحت بعض الوقت ونامت بعض الوقت ،واستيقظت وأدت صلاة المغرب وتناولت طعاما خفيفا ،وعاودت النوم ، وعند الصباح كانت في انتظار السائق ووصلت إلى الشركة لتستأنف عملها ، وما إن استقرت على مكتبها ،حتى وجدت سلطان يدخل عليها ،ويلقى التحية مبتسما ،ويهنئها بأداء العمرة ،يمازحها قائلا :

- أتمنى أن يكون لنا نصيب من دعائك عند الكعبة.
- بكل تأكيد.
- لكنك لم تخبريني برغبتك في أداء العمرة ،كنت قد ساعدتك في ذلك.
- أنا لم أراك طيلة اليومين الماضيين ،وكل شيء تم بسرعة ،والشركة كانت تفتقد وجودك ،وقد قامت نغم بالواجب كما يقولون.
- كان لدى بعض الأعمال خارج الرياض ،كيف أحوال العمل ؟
- على ما يرام ،ونغم ستكون على مستو عال من الدقة والأداء ،فهي ذكية ولديها الرغبة في التعلم ،وتستجيب بسرعة مذهلة.

ابتسمت نغم ،وشكرت لها وقالت :

- البركة في الأستاذة.

بادلهما الابتسامة ،ودعا لهما بالتوفيق وانصرف إلى مكتبه ،وقبل أن يخرج طلب من بيسان أن تمر عليه في مكتبه قبل مغادرة الشركة.

أنهت بيسان عملها ،وتوجهت إلى مكتب سلطان ،واستأذنت في الدخول ،وألقت التحية وجلست ،وكان أمامه مجموعة أوراق ،أنهى مراجعتها ،ونظر إليها وقال :

- كيف أخبارك ؟ ،كيف أحوالك ؟
- الحمد لله العمل يسير بطريقة جيدة.
- أنا أسأل عن أحوالك الشخصية.
- الحمد لله على ما يرام.
- لقد أبلغت الحسابات أن تصرف لكي مبلغ ١٥٠٠ ريال مصروفات العمرة ،فهي هدية من الشركة ،وبإمكانك أن تمرين عليهم عند خروجك.
- لكن المبلغ.
- مقاطعا ،قليل.
- بالعكس المبلغ أكثر من نفقات الرحلة.
- لا عليك.

شكرت له وانصرفت ،ومرت على الحسابات ،وصرفت المبلغ ،وفى طريق عودتها طلبت من السائق المرور بالسوق لشراء بعض المستلزمات ،لكن السائق أخبرها أن السيد سلطان قد كلفه بشراء مستلزمات لها وتستطيع أن تخبره إذا كانت في حاجة إلى شيء أخر بعد مراجعتها ،تحركت إلى السكن وصعد معها السائق لتوصيل حاجاتها وانصرف ،بدلت ملابسها ،ورتبت مطبخها ،ووجدت كل ما تحتاجه قد جاء به سلطان ،تناولت الغداء وقررت الراحة هذه الليلة.

٨- ليلة سلطان

استيقظت بيسان من نومها وكان بعد المغرب بقليل ،تناولت قهوتها وقررت النزول إلى الحديقة العامة الموجودة قبالة البناية التي تسكن فيها ،وشجعها على ذلك جمال الطقس ،وعدم ارتباطها بموعد مع نغم فقد أصبحت صديقتها ، وقد استراحت لها لما لمسته فيها من خلق وحسن معاملة ،أبدلت ملابسها ونزلت إلى الحديقة ،وقد كانت الحديقة غير مزدحمة وفيها عدد من الأسر ،والأفراد من ساكني المنطقة ،ومعظمهم من الوافدين ،وكلهم يبحثون عن الراحة والهدوء بعد عناء يوم عمل ،وكل في حاله وهى خالية تماما من المضايقات أو المعاكسات ، وكانت تبتسم للأطفال الذين يلعبون بالحديقة ،ولفت نظرها ابتسامة بريئة لطفل صغير اقترب منها وحاول أن يمسك بثيابها وهو مبتسم فبادلته الابتسامة ومدت يدها وأمسكت به من ذراعيه واحتضنته وقبلته ،وسرعان ما كانت أمه خلفه ،حيتها واعتذرت مبتسمة لها وشكرت لها احتضان طفلها ،وأخذته وانصرفت وظل الطفل ينظر إليها حتى توارى بعيدا.

كان الطفل وكأنه قد أيقظ في نفس ليلى حنينها إلى الأمومة ،وتذكرت خطبتها لفالح ثم استشهاده ،ودارت برأسها أسئلة كثيرة : هل كنت قاسية حين طلبت من فالح أن يكون مهري هو ثأر أخي ؟

هل أنا مسئولة عن استشهاده ؟

ماذا لو كنت طلبت مهرا مثل الفتيات وتزوجت وبقيت أو رحلت مع زوجي ؟

ألم أكن الآن أما لطفل قارب الخامسة من عمره ؟

لست أدرى هل أخطأت أم كنت على صواب فيما طلبت !!!

وهل لو تقدم لي الآن شخصا سوف أطلب مهرا كما طلبت من فالح؟

لا أظن ذلك فربما يتقدم لي من هو غير فلسطيني ،وها هي سنوات العمر تمضى وقد قاربت الخامسة والثلاثين ولم يتقدم لي أحد ،بل الكل يريد متعة مدفوعة الأجر، وبينما هي علي هذه الحال من التفكير ، وإذا بصورة سلطان تظهر جلية في رأسها ،فهو إنسان ناجح ،ومثقف ،ومتحضر ، ولديه ثراء واسع ،ووسيم جدا ولا يظهر عليه السن رغم اقترابه من الخمسين ، ولم يصدر منه منذ عرفته ما يشينه ،ولم يتجاوز في قول أو فعل ،لا شك أن لديه زوجة استطاعت أن تحتويه ،وهو لديه أبناء لا شك يحبهم ،ولكنه في معاملته معي لا يتعامل بمنطق صاحب العمل والموظف لديه ،أشعر أحيانا من نظرته بالحب والشوق والرغبة في الحديث ،لكنه مجرد شعور لدى وقد يكون شعورا كاذبا ،قد كان في استقبالي عند الوصول بنفسه وكان بالإمكان أن يرسل أحد الموظفين بالشركة ،لقد وفر لي الراحة قبل وصولي ،كما أنه أعطاني مبالغ أكثر مما حددها وأنا في مصر ،هل ذلك كرم وسخاء منه ؟

أم تعاطفا مع كوني فلسطينية ؟

أم ذلك حبا عذريا ؟

ما بك يا بيسان هل أتعبك التنقل من بلد إلى بلد ؟

أم اشتاقت نفسك للزواج ؟

أم حرك هذا الطفل مشاعر الأمومة عندك ؟

أليس كل ما أفكر فيه حق مشروع ؟

ثم ضحكت ضحكة ساخرة من قولها حق مشروع !!!!

إن مجلس الأمن الدولي قال في قراره أن حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولة مستقلة حق مشروع وذلك منذ ما يزيد على ستة عقود ،ولم ينفذ القرار ،ولم يتحقق حلم الدولة الفلسطينية ، لتسقط كل الحقوق المشروعة ما لم تنفذ !!!

وسرعان ما عادت إلى التفكير في أمر سلطان ،ربما يحتاج إلى أن افتح له نافذة ينفذ منها ، إن باستطاعتي أن أنصب شباكي حوله ،لكنه ليس شخصا سهلا ،وربما أخسر صداقته ،وقد أخسر عملي لننظر ماذا في الغد القريب.

وتنبهت بيسان إلى أن رواد الحديقة قد بدأ البعض منهم في الانصراف ،وأن الجو قد سرى فيه نسمة باردة شعرت بها ،وقامت من مكانها إلى السكن ،وتناولت العشاء وخلدت إلى النوم ،لكن النوم لم يأت ،وظلت في حالة من الأرق حتى ساعة متأخرة من الليل ،ولا شيء سوى سلطان يسيطر على تفكيرها ، وكأنها ليلة سلطان ،وظلت على ذلك حتى نامت دون أن تدرى ،وكالمعتاد في الصباح تجهزت وانتظرت السيارة وذهبت إلى الشركة ،لكن يبدو عليها أثر السهر وعدم أخذ قسط وافر من النوم ،وبدأت في عملها الروتيني ،ولاحظت نغم عليها ذلك ،وسألتها عما بها ،ولم تفصح لها عن شيء ،حتى أنها عرضت عليها أن تستأذن وتنصرف لكنها رفضت ،فهي تهرب من وحدتها وتجد في العمل تسرية لنفسها ، لكن كان لديها رغبة جارفة لرؤية سلطان ،ووجدت موضوعا مرتبط بالعمل تستطيع من خلاله الحديث إليه ،ولم تطل التفكير في الأمر.

٩- في مكتب سلطان

أخذت بعض الأوراق وذهبت إلى مكتب سلطان ،وعدلت من نفسها واستأذنت ودخلت مكتبه وألقت التحية ،وجلست حتى ينتهي من مكالمته ، وما إن انتهت مكالمته ،حتى نظر إليها مبتسما ،وقال لها :

- كلى أذان صاغية.

■ هناك بعض الأمور أود أن أناقشها معك قبل تسجيلها ،وذكرت له بعضها.

وقبل أن تستطرد في الحديث – وهو يعلم أنه كان بإمكانها أن تستفسر من القسم المختص لمعرفة كل ما تود معرفته – قاطعها :

- دعك من هذا الآن ، لكن ماذا بك ؟

يبدو عليك الإرهاق والتعب ،هل تحتاجين إلى الطبيب ؟

■ لا شيء ،أنت السبب ،أقصد التفكير في العمل الذي أوكلته لي هو السبب.

- يمكنك أن تنصرفي اليوم للراحة ،وتكملين في الغد.

■ لا ،لا داعي ،أريد أن أنجز العمل ،حتى أعود إلى مصر.

- هل ذلك شوق لمصر؟ ،أم رغبة في الفرار من هنا ؟ ،أم شوق إلى صديقتك أحلام – وكان يتحدث إليها وهو ينظر في عينيها ويبتسم.

■ قد يكون شوقا إلى مصر ،وقد يكون شوقا إلى صديقتي ،لكنه ليس فرار من هنا ،فالعيش بجواركم يسعدني.

• أحقا أنت سعيدة بوجودك معنا.

■ نعم ، سعيدة ،فقد لاقيت كل حفاوة وترحاب منذ وصولي ، وأغدقت المال ،والعمل هنا ممتع.

• إذن ،فلماذا العجلة في العودة إلى مصر.

■ حنيني إليها لا يوصف – وابتسمت – وقد أجد فيها ابن الحلال.

• كلنا في حنين دائم لمصر ،حقا هي قلب العروبة النابض ،أما أبناء الحلال فهم كثر.

ابتسمت في خجل ،وأخذت أوراقها واستأذنت ،وعادت إلى مكتبها ،وأكملت يومها ،وعادت إلى السكن ،وفكرت فيما دار بينها وبين سلطان من الحديث ،هل تجاوزت في الحديث ؟ هل كنت قاصدة هدفا معينا ؟ هل وصلت إليه رسالتي ؟

لا ، لا ،لم يكن هناك تجاوز في الحديث ،ولم يبد عليه أنه فهم رسالتي ،أو ربما فهمها وتجاهلها ،على كل حال سوف يظهر رد فعله فيما هو قادم.

مرت عدة أيام على هذا الموقف ،لم تقابل سلطان فيها ،ولم يسأل عنها ،لكن أرسل لها بعض الحاجات التي تحتاجها للمعيشة من مأكل وشراب.

وفى هذا اليوم بعد عودتها من العمل اتصل بها سلطان :

- سلام عليكم.
- وعليكم السلام ،مرحبا.
- كيف حالك ؟ ،وكيف أخبارك ؟
- الحمد لله ،على ما يرام.
- هل يمكن أن أتناول معك فنجانا من القهوة الليلة.
- أرسل لي الموقع ،ومتى ؟
- لا ،لا سوف أتناول القهوة معك في السكن ،بعد العشاء.
- مرحبا ،أنت صاحب المكان.

لم تعرف سبب الزيارة ،ولم تستطع التخمين على سببها ،لكنها كانت متأكدة أنها لن تكون مزعجة لها ، رتبت الصالون ،وجهزت القهوة ،ومر الوقت سريعا ،وتهيأت لاستقباله في ثياب سعودية تحمل تطريزا منسقا ،كانت قد اشترتها من مكة ،فزادتها جمالا على جمالها – وهى المرة الأولى التي سوف يراها سلطان في غير الزى الرسمي – وفى الموعد المحدد – فقد كان رجلا منضبطا في موعده - كان يطرق الباب طرقات خفيفة ،نهضت من مكانها واستقبلته ،ووجدته يحمل طبق ظنته طبقا من الحلوى ،حملته عنه ،ووضعته على مائدة بالصالة ،وأدخلته إلى الصالون ،وجلست مرحبة به ،واستأذنت لعمل القهوة ،وسرعان ما عادت بها ، قدمتها له ،وجلست ،واعتدل سلطان ووجه الكلام إليها :

- كل سنة وأنت بألف خير ،وعيد ميلاد سعيد – واخرج من جيبه علبة صغيرة قدمها لها – أتمنى أن تنال رضاك.

مدت يدها ،أمسكت بالعلبة ،وفتحتها ،ورأت خاتما جميلا ،ورقيقا في شكله ، لم تستطع الرد السريع وكأن المفاجأة ألجمتها ،فهي المرة الأولى التي يتذكر فيها أحد عيد ميلادها ،أو تتذكره هي ،ثم تنبهت لنفسها ،فشكرته على تذكره المناسبة ذاتها ،وأثنت على هديته ، وقالت مبتسمة :

■ أظن هذه تورتة عيد الميلاد ؟

- نعم ،بكل تأكيد ،ومعها الشموع ، أردت أن أشاركك هذا اليوم.

قامت بيسان ،ووضعت بها الشموع وأشعلتها ،وأطفأت نور الغرفة ،واحتفلت معه بهذه المناسبة ،وأمسكت بالسكين ،وقدمت له طبقا ،تناول منه بعض الشيء ،وتناول القهوة للمرة الثانية ، واستأذن ،وانصرف.

ظلت بالباب حتى انطلق بسيارته ،وعادت ،تتحدث إلى نفسها ،لا شك أن هذه المفاجأة هي أخر شيء كنت أتوقعه ،بل بالأحرى لم تطرأ على ذهني ،فأنا لم أكن أتذكر يوم ميلادي ولم أحتفل به من قبل ،أواه منك يا سلطان ، إلى أين ستمضي بك الأيام معي ،والى أين أنا ماضية؟

لا ، لا يذهب بك خيالك بعيدا ،إنها مجاملة لا أكثر !!!!

لـو كانـت مجـرد مجاملـة ،لكـن ذلـك بالشـركة ووسـط المـوظفين ،وهل هو يقيم عيد ميلاد لكل موظف بالشركة ؟ ربمـا خـاف مـن سـوء تأويل الموضوع ، ربما !!!

على كل حال أنا سعيدة الليلة ،وكنت أتوقع أن يقبلني عند إضـاءة النور ،ماذا لو كان فعلها ؟ أكنـت أمنعـه ،لا أظـن ،كم تمنيت لـو فعلهـا ،ماذا ألم بي ؟ أهو الحب ،وقد أصابني سهمه !!!

وما العيب في الحب ؟

هل الحب محرم على من مثلى ؟

أليس مـن حقـي أن أًحـب مثـل كـل النسـاء ،والفتيـات ؟ ألـيس الحـب حق مشروع !!!!

ليس حقـا مشـروعا لمثلـى ،لـم نحصـل علـى الحـق المشـروع فـي الوطن رغم العقود التي مرت ،لمـاذا لا يكـون حبيبـي وطنـي ،الإنسـان بلا وطن عار كمـن ليس عليـه ثيـاب ،سـوف أنتظـر مـا تـأتى بـه الأيـام ،وسيكون لكل حادثة حديثها ،ولبست ثياب النوم ،ووضعت الخـاتم فـي إصبعها ،وقبلته ،ونامت.

١٠- العودة إلى القاهرة

استعدت بيسان للذهاب إلى العمل ،لكنها كانت في حيوية زائدة ،وتبدو على وجهها البشاشة ،والابتسامة على شفتيها ،وصلت إلى العمل ،وما إن رأتها نغم حتى صاحت :

- من ،بيسان !!! ، لا ، لا ما هذا الجمال الذي أرى ؟
- أنت اليوم عروس ، ما الحكاية ؟
- لا شيء ، ألم تراني من قبل ؟ ماذا بك ؟
- لا ، لم أرى هذا الجمال ، وهذه الابتسامة الساحرة من قبل ما ورائك ؟
- قلت ،لا شيء ،دعيني من هذا ،هيا إلى العمل.

قامتا إلى الحاسوب ،وراجعت بيسان ونغم الأعمال السابقة،واطمأنت أن نغم تستطيع القيام بالأعمال بكفاءة واقتدار ،ويمكن للسيد سلطان أن يعتمد عليها ،كما أنها قد انتهت من تسجيل كل الملفات التي طلبها سلطان منها ،وقد تم ربط البرنامج بين فرع الرياض وفرع القاهرة بعد أن وافقت أحلام ،وطلبت ذلك من سلطان ،وأحست بيسان أن مهمتها قد أدتها على أكمل وجه ،أخبرت نغم أنها سوف تُطلع السيد سلطان على ما تم ،وسوف تطلب منه العودة إلى القاهرة ،وأنها سوف تكون على تواصل دائم مع نغم سواء على المستوى الشخصي ،أو أي شيء مرتبط بالعمل ،وخرجت قاصدة مكتب سلطان ، لم تجده في مكتبه ،وسألت عليه فعلمت أنه لم يأت اليوم ،عادت وحملت حقيبة يدها واستقلت السيارة وعادت إلى السكن ،

وعند المساء ،خرجت إلى الحديقة التي اعتادت عليها ،وسألت نفسها : هل أنا بالفعل راغبة في العودة إلى مصر ؟

أم أنني أهرب من مشاعري تجاه سلطان ؟

هل هو لديه نفس المشاعر ؟

أم أنه شعور غير متبادل ؟

أنا لا أدرى !!!

ربما عاطفة الأمومة قد تحركت داخلي ،منذ رأيت الطفل الصغير في الحديقة من قبل ، وفى النهاية عزمت أمرها على أن تخبره بان المهمة التي كلفها بها قد انتهت ،وأن المدة التي حددها وهى الشهور الثلاثة ،لم يبق منها إلا أسبوع ،وسوف أرى رده ،أمضت بعض الوقت في الهواء الطلق ،حتى شعرت بشيء من البرودة ،فقامت إلى سكنها وتناولت العشاء الخفيف ،والقهوة ،وشاهدت فيلم (أغلى من حياتي) بطولة صلاح ذو الفقار والفنانة شادية ،والذي دارت أحداثه حول الزواج الثاني في السر ،وقد تخيلت نفسها مكان بطلة الفيلم ،فهل تقبل وضع كهذا لو عرض عليها سلطان ذلك ، لا ،لا إن الوضع لابد أن يكون أفضل لو أدخلت عليه بعض التعديلات ،نظرت في ساعتها ،وجدت الوقت قد تأخر فأغلقت الشاشة ،وخلدت إلى النوم.

وفى الصباح ،ذهبت إلى الشركة ،وما إن علمت وصول سلطان ،تهيأت للدخول عليه ،واستأذنت ودخلت ،وألقت التحية مبتسمة بوجه مشرق ،وأذن لها بالجلوس ،ودار بينهما الحديث :

- **أولا** – أنا أشكرك على تذكرك عيد ميلادي ،وأشكرك على هديتك الغالية ونظرت إلى الخاتم في إصبعها.

■ لا داعي للشكر ،هذا أقل واجب ،بل أعتبره واجب نحوك ، وماذا ثانيا ؟

- لقد أنهيت المهمة التي كلفتني بها ،ويمكنك أن تتأكد بنفسك ،ونغم تستطيع أن تؤدى العمل ذاته بكفاءة واقتدار.

■ وبناء عليه.

- لم يعد وجودي هنا مهما ،أو ذا معنى.

■ تمت المهمة نعم – وكنت واثقا من قدرتك وكفاءتك – أما عن وجودك فهو دائما مهم ،وأفهم من ذلك رغبتك في العودة إلى القاهرة.

- هذا إذا أذنت لي.

■ هل يناسبك نهاية الأسبوع ؟

- نعم مناسب.

■ سوف تكون تذكرة الطيران جاهزة ،وسوف أخبرك بموعد الرحلة.

- شكرت له ،واستأذنت.

■ أتمنى أن تكون رحلتك إلى الرياض قد تركت انطباعا طيبا لديك.

- لا شك في ذلك ،فما وجدته من حفاوة وتعاون جعل الرياض وأهلها في القلب.

- بإمكانك بعد ساعة أن تمرين على الحسابات ،لصرف مستحقاتك ،وبعدها تمرين على مكتبي قبل أن تغادري ،لتعلمي موعد السفر،فاليوم هو أخر أيام عملك.

- شكرت له ،وأشارت برأسها بالموافقة ،وانصرفت.

عادت بيسان إلى مكتبها ،وأخبرت نغم بان اليوم هو أخر أيام عملها بالشركة ،وأنها سوف تسافر إلى القاهرة نهاية الأسبوع ،أبدت نغم تأثرها ،وتمنت لها السعادة والتوفيق في حياتها ،وطلبت منها التواصل بينهما ،وطلبت منها أن تقبل دعوتها غدا للخروج وقضاء وقت معا ،وافقت بيسان ،وشكرت لها ،حسن تعاونها ،ورقى تعاملها.

كان قد مر الوقت أكثر من الساعة ،واتجهت إلى الحسابات ،وجدت كامل مستحقاتها ،ووجدت زيادة عن المتفق عليه ثلاثة ألاف ريال ،تسلمت المبلغ ووقعت عليه وعادت ،لملمت أوراقها ،وما يخصها ،ثم مرت على مكتب سلطان ،فأخبرها بموعد رحلتها ،واعتذر عن عدم وجوده في وداعها ،وذلك لسفره خارج البلاد ،ومد يده بمظروف قائلا :

- كنت أود أن اشترى هدية ،ولكن لن استطيع لظروف سفري ،وأتمنى أن تقبلي هذا المبلغ هدية شخصية منى ،وسوف يكون السائق موجود في الموعد المحدد ،وسوف يكون لنا لقاء في القاهرة في أقرب فرصة.

- شكرت له ،ومدت يدها ،وسلمت وانصرفت.

عادت بيسان إلى السكن ،وانتظرت نغم وكانت أخبرتها ألا تتناول طعام فهي ضيفتها اليوم ،لم تتأخر نغم ،واصطحبتها إلى أحد المطاعم بالمدينة ،وبعد تناول الطعام ،اصطحبتها إلى مكان متميز لتناول القهوة ،ثم أخبرتها بيسان أنها تريد أن تشترى هدية قيمة للسيدة أحلام فاصطحبتها إلى محل للعطور الفاخرة واشترت زجاجة عطر فاخرة لها ،وقبل أن تغادرا المحل اشترت نغم زجاجة مثلها ،وقدمتها هدية إلى بيسان ،أخذتها ،وشكرت لها ،وفى العودة لم تنس بيسان بواب العمارة فاشترت له قطعة قماش جميلة ،وأوصلتها إلى البناية التي تقيم بها ، وعانقت نغم ،وودعتها.

أمسكت بيسان بعد دخولها السكن هاتفها ،وتحدثت إلى أحلام ،وأخبرتها بموعد وصولها مصر،وان كانت تريد شيئا من الرياض ،وتمنت لها أحلام الوصول بسلامة ،وأنها سوف تكون في انتظارها ،ولم تكن بيسان قد فتحت المظروف الذي أعطاه سلطان لها وأصابتها الدهشة حين وجدت أن المبلغ يقترب من راتبها خلال الشهور الثلاثة ،وشكت أن يكون قد أعطاه بالخطأ ،لولا أنها وجدت أسمها على المظروف ،فرحت بالمبلغ وقررت شراء بعض الأشياء التي تحتاج إليها ،باتت ليلتها ، واستيقظت متأخرة فلا عمل ورائها ،وظلت بالسكن حتى قبيل المغرب وخرجت بمفردها ،واشترت ما تريد ،وعادت ،ورتبت حقيبتها ،وتناولت العشاء ،وتجهزت للسفر في الغد.

وفى الموعد المحدد ،جاء السائق ،وحمل معها حقيبتها ،واتجه صوب مطار الملك خالد الدولي ، وأنهت إجراءات الدخول ،وانتظرت حتى صعدت الطائرة ، وبعد ثلاث ساعات إلا ثلث سمعت المضيفة تتحدث : خمس دقائق ونهبط في مطار القاهرة ،وعلى السادة الركاب الامتناع عن التدخين وربط الأحزمة.

ونزلت من الطائرة ،وأنهت إجراءات دخولها ،وحملت حقيبتها ،وخرجت ،وكانت أحلام في انتظارها ،وبعد العناق والسلامات ،ركبت معها سيارتها ، وسألتها عن رحلتها ،وأكدت لها بيسان عن سعادتها بالرحلة ،وحدثتها عن السيد سلطان ومدى دقته في الإدارة ،وعن سلطان الإنسان المتحضر ،وعن أبرز تصرفاته الايجابية تجاهها ،ولاحظت أحلام أن حديثها عن سلطان كحديث المحب عن حبيبه ،لكنها لم تعلق ،وعند شقة بيسان توقفت أحلام بسيارتها ،وجاء الحارس مهنئا بسلامة الوصول ،وحمل الحقيبة إلى الشقة ،وشكرت بيسان أحلام على توصيلها ،وقالت أحلام : غدا ترتاحين من السفر ،ونلتقي في الشركة بعد غد ،وودعتها ،وانصرفت ،وصعدت بيسان إلى شقتها ، وأغلقت الباب بعد أن منحت الحارس عملة ورقية فئة المائة جنيه ، ووضعت حقيبتها ،وتخففت من ملابسها ،وبدأت تنظيف الشقة ونفض الغبار ،ومسحت أرضيتها ،وأخذت حماما ،وألقت بنفسها على السرير ،وذهبت في نوم عميق ،وفى الصباح ارتدت ملابسها ، وحملت هدية الحارس بيدها في كيس أنيق ،وأعطته له ، فشكرها متمنيا لها السلامة والدعاء لها، ونزلت الشارع لشراء بعض المستلزمات المنزلية ،وعادت تناولت الإفطار والقهوة ،وعادت إلى السوق المجاور واشترت الخضار واللحوم ،ومكثت يومها في إعداد الطعام فقد كانت في شوق إلى الطعام المصري ،وأمضت يومها لم تخرج ،ولم تتحدث في الهاتف عدا ردها على اتصال نغم التي أطمئنت على وصولها بسلامة الله ،وشاهدت بعض البرامج على الشاشة حتى منتصف الليل ،واستعدت للنوم ،ونامت.

١١- سلطان في القاهرة

صباح القاهرة لـه مذاق خاص ،كم كانت في شوق إلى ضجيج القاهرة ،وخروج الناس إلى أعمالهم ،وزحام المواصلات والشوارع ،وحملت معها هديتها إلى أحلام ،واتجهت صوب الشركة ،وفى مكتب أحلام ،قدمت لها الهدية ، فشكرتها ،ووضعتها فوق المكتب دون أن تفتحها – فترك الأمر شيئا في نفس بيسان لم تبده - ،وقدمت لها بيسان تقريرا عن زيارتها كانت قد طلبته منها عند لقائهما بالمطار ،وأثناء توصيلها السكن ،تناولت أحلام التقرير ،واطلعت على ما جاء به ،ووضعت خطوطا تحت بعض النقاط ،وانتهت من قراءته ،وناقشت بيسان في النقاط التي كانت تود الاستفسار والإيضاح لها ،وسألتها عن سير العمل هناك ،وانصرفت إلى مكتبها ،تحمل بعض التكليفات من أحلام ،وعادت إلى عملها ،واستمر الحال كما كان قبل السفر ، ولكن أحلام لم تعد كما كانت قبله ،ولم يحدث أي اتصال بين بيسان وسلطان ،حتى أنه لم يتصل للاطمئنان على وصولها ،وبعد حوالي ثلاثة أسابيع ،وهى في الشقة والهاتف يدق والمتصل سلطان ويبدأ الحديث :

- السلام عليكم.

■ وعليكم السلام.

- كيف حالك بيسان ؟ ،كيف أخبارك ؟

■ الحمد لله ،بخير.

- غدا نلتقي في مصر.

■ غدا !!

- نعم غدا.

■ فجأة هكذا ،لما لم تتصل من قبل.

- لقد اتصلت بالسيدة أحلام ،وأخبرتها من الأسبوع الماضي ، ألم تخبرك.

■ لا ، لم أعلم بزيارتك إلا الآن منك.

- خير ،خير ،على كل حال أنا سوف اقضي في القاهرة أسبوع واحد ،وأرجو مقابلتك خارج العمل ،وأتمنى أن يكون الأمر بيننا ،بعيدا عن أحلام.

- لا مانع ،لكن هل الأمر يتعلق بالعمل أو الشركة.

■ لا ، لا خير إن شاء الله ،الأمر شخصي.

- حين تأتى إلى الشركة نحدد الموعد المناسب لك.

■ لا ،لا نتفق على الموعد الحين.

- كما ترى.

واتفق سلطان وبيسان ،على أن يكون اللقاء في اليوم التالي لقدومه الشركة ،وحددا المكان والساعة ، وانتهت المكالمة ،وجلست بيسان تفكر :

لماذا لم تخبرني أحلام بزيارة سلطان ؟

فقد كانت تخبرني بزيارته قبل سفري إلى السعودية ، إن أحلام لم تعد كما كانت في المعاملة منذ عودتي ،وأشعر بتغير كبير في العلاقة معي ، دونما سبب واضح على الأقل بالنسبة لي ،ولكن ماذا وراء سلطان ؟

ولماذا لا يرغب في معرفة أحلام ؟

لا بأس ،سوف يأتي ،وسوف أعرف ماذا يريد ،وبعدها أقرر أن أخبر أحلام من عدمه.

اليوم التالي ،وصل سلطان القاهرة ،واتجه إلى شقته بمنطقة الزمالك ،واتصل بأحلام ،وأخبرها أنه سيقابلها غدا بالشركة لمناقشة مشروع جديد يرغب في عرضه عليها ،أعلنت أنها ستكون في انتظاره بالشركة ،ولم تتحدث إلى بيسان بشأن زيارته هذه ،ولم تخبرها بيسان بأنها تعرف بهذه الزيارة ، وتجاهلت الأمر ،لكن سلطان أخبر بيسان أنه سوف يقابل أحلام غدا ،ولقائهما سوف يكون بعد غد.

عند العاشرة صباح اليوم التالي ،كان سلطان في مكتب أحلام ،استقبلته بالترحاب والبشاشة ،وبعد السلام والتحية ،والسؤال عن الأحوال ،طلبت له القهوة ،وبدأ الحديث بينهما :

- قلت أن هناك أمر مهم تود مناقشته معي ،هات ما عندك ، دائما أنت تأتى بالجديد.

■ نعم ،أنه جديد ،تعلمين أن في دول مجلس التعاون يمكن لأي مواطن من دول المجلس أن يمارس نشاطه في أي دولة من دول المجلس ، ومن هنا فأنا قررت أن أفتتح شركة في دولة الإمارات المتحدة - وقدم لها شرحا وافيا للمشروع ،وأعطاها ملف به دراسة جدوى للمشروع - وأعرض عليك أن نكون شركاء فيها ،ويمكنك مراجعة الدراسة ،وانتظر ردك خلال يومين.

• وكم تكون نسبة الشراكة بيننا ؟

■ كما تحبين ،النسبة التي تناسبك.

• وكم رأس مال الشركة المقترح ؟

■ سوف تجدين كل شيء في الدراسة.

وتحدث معها عن أحوال الشركة هناك ،وحدثته عن أحوال الشركة في مصر ،واستمر اللقاء أكثر من ثلاث ساعات ،وودعها ،وانصرف ،دون أن يرى بيسان ،أو تراه.

عادت أحلام إلى مكتبها ،وبدأت في قراءة الدراسة – رغم قرارها بعدم الدخول معه في مشروعات جديدة - ، ورغم قناعتها بالمشروع ،إلا أنه كان لديها رغبة في عدم مشاركته ،بل كانت تفكر أن تفض الشراكة بينهما ،ولم تفصح لأحد عن أسباب ذلك ،فهي لم تخسر من الشراكة معه ،بل على العكس قد استفادت واستفادت الكثير ،كما وأن سلطان لم يصدر منه على مدار سنوات الشراكة الخمس ،ما يسيء إليها ،لكن على ما يبدو أن أحلام من خلال العمل المستمر قد حققت اسما في السوق كسيدة أعمال وأصبح يحسب لها ألف حساب ،لكنها قد نسيت أنها امرأة ،أو بالأحرى قد نسي المحيطون بها أنها

امرأة ،فهي أنثى وتحتاج إلى رجل ،وهى رغم عبورها في العمر الخمسين عاما فهي مازالت تحتفظ بجمالها ،ولا يبدو عليها السن ،وقد أدركت أن الحزم في الإدارة ،والمبالغة في التحفظ في المعاملة ،قد حرمها حتى من كلمات الغزل العابرة ،لقد كان سلطان محل إعجاب عندها ،وكم تمنت لو طلبها للزواج ،ما كانت لتتردد في الموافقة ،فقد كانت ترى فيه الزوج المناسب تماما لظروفها ،فهو زوج غير مقيم ،ولن يحرمها من أعطاء الوقت لابنيها ،كما أنه سوف يلبى احتياجاتها كأنثى خلال زيارته للقاهرة ،حتى لو كانت زيارة واحدة شهرية ،ورغم أنها في لقاء سابق قد ألمحت له بما يحمل هذا المعنى ، إلا أنه تجاهل الكلام ،وانتقل إلى موضوع أخر ،وأنا لست بحاجة إلى شريك قدر حاجتي إلى رجل ،لقد ظننت خطأ أن كل من يحاول القرب منى لن يكون سوى طامعا في ثروتي ،تبا للثروة ،أحيانا أشعر بالغيرة من موظفات صغيرات عندي في الشركة على استقرار حياتهن رغم قلة دخولهن ،أنا أحتاج إلى زوج ،ومادام لم يأت ،لماذا لا أبحث عنه ؟

إن كل ما أحتاج إليه رجلا نقضى معا أوقات نشبع حاجتنا في أطار مشروع من الدين ولا يخالف القانون أو العرف ، مسكنا خاصا بنا ،بتجهيزات بسيطة ،يشبه شاليه نقضى فيها يوما واحدا كل أسبوع علي الأقل ، نلتقي فيه كلما احتاج أحدنا للقاء الأخر ،وفى إطار زواج عرفي له شهوده ،وفى دائرة ضيقة من المقربين جدا ،ولا يكون لأحدنا على الآخر حق المطالبة بالديمومة طوال اليوم ،ليكن زوجا زائرا،ونمهل أنفسنا مدة زمنية محددة ،ونترك الحكم للتجربة ،إن نجحت نعقد عقدا رسميا ،ويدون كل منا ما يرغب من شروط إن أراد ،ولو فشلت مضى كل إلى حال سبيله دونما خسائر أو أضرار.

سوف أبلغ سلطان بعدم المشاركة ،وسوف أطلب منه تصفية الأعمال بيننا ،ولكن ذلك لن يكون عبر الهاتف ،بل سوف أطلب منه أن نلتقي ،وأوجه له دعوة على عشاء عمل.

ولم تطل التفكير ،واتصلت على سلطان ،ووجهت له دعوة على العشاء في الغد وليكن عشاء عمل ،فقبل الدعوة ولكن بعد غد لارتباطه بموعد في الغد.

أنهت الاتصال ،واستدعت بيسان ،وناولتها الدراسة التي قدمها لها سلطان ،وطلبت منها أن تعد لها دراسة مبسطة عن أهم نقاط الدراسة وتسجل رأيها في قبول المشروع من عدمه ،وسألتها بيسان.

- هل وصلت الدراسة بالبريد ؟

■ لا ،لقد كان السيد سلطان ،موجود بمكتبي ،وقدمها بنفسه ،وأتمنى أن تكون على مكتبي غدا ،دون أن تعطى أمر عدم علم بيسان بقدومه أي قيمة باعتباره هو الوضع الطبيعي.

- استأذنك أن تكون بعد غد ،فانا كنت سوف أخبرك بطلب أجازة غدا ،إذا لم يكن لديك مانع.

■ أهناك ما يستوجب الأجازة !!

- أمر ما ،لكنه خير.

■ لا مشكلة ،بعد غد تكون على مكتبي.

وأخذت بيسان الملف وخرجت ،وأنهت عملها ،وانصرفت.

استراحت من عناء يومها ،وتناولت طعامها ،وأمسكت بالملف ،ولم تكن أوراقه بالكثيرة ،وأنهته بعد قرابة الساعتين ،ودونت أهم نقاط الدراسة ،متمثلة في : رأس مال المشروع ،عائد أرباحه ،الديمومة والاستمرارية ،نسبة المخاطر ،وسجلت رأيها بقبول المشروع.

وألقت بالملف جانبا ،وأعدت فنجانا من القهوة ،وجلست في الشرفة تتناولها ،وبدأت تفكر في لقاء الغد ، وانطلق خيالها يحلق هنا ،وهناك ،ولم يُوقف تفكيرها إلا رنين الهاتف ،وإذا سلطان يتحدث إليها:

- سلام عليكم.
- عليكم السلام ،مرحبا.
- كيف حالك؟ ،كيف أخبارك ؟
- الحمد لله ،على ما يرام.
- كنت في الشركة اليوم ،ولم أقابلك.
- لم أعلم بوجودك إلا بعد أن غادرت الشركة ،فقد علمت من السيدة أحلام أنك كنت في مكتبها ،لأمر هام.
- نعم ،وجلست معها أكثر من ثلاث ساعات ،المهم : غدا موعدنا.
- نعم ، لقد أخذت غدا أجازة ،كي أكون متفرغة للقائك ،وهى أول مرة أطلب فيها أجازة منذ عملي بالشركة على مدار سنوات عملي.

- لقد وجهت لي السيد أحلام دعوة على عشاء عمل غدا ،ولكنى اعتذرت وطلبت تأجيل الدعوة إلى بعد غد.

■ أخشى أن تربط بين طلبي الأجازة ،وتأجيلك الدعوة ،فهي سيدة لا يمر عليها أمرا مرور الكرام.

- وما المشكلة لو علمت بهذا اللقاء.

■ لا أدرى ،لكن قد تغضب أنني أخفيت عليها هذه المقابلة.

- لن تعلم بها منى ،وبما أنك غدا أجازة لديك ،ما رأيك أن يكون اللقاء خارج القاهرة.

■ أين ؟

- الإسكندرية ،يقال أن هناك محل أسماك ممتاز.

■ أنا لم أرى الإسكندرية من قبل !!!!

- على بركة الله ،سوف نلتقي عند السابعة صباحا ،فالمسافة من القاهرة إلى الإسكندرية قد تستغرق ثلاث ساعات.

■ على بركة الله.

انتهت المكالمة وسألت بيسان نفسها معاتبة : لماذا وافقت على الذهاب إلى الإسكندرية معه ؟ ألم يكن من الأفضل أن يكون اللقاء في القاهرة ؟ وظلت تتساءل مع نفسها بعض الأسئلة ،وأخيرا أقنعت نفسها أن سلطان لا خوف منه فقد جربت التعامل معه فى الرياض ،وتعرفت على خلقه الكريم عن قرب ،وقامت إلى فراشها وضبطت المنبه على السادسة صباحا.

١٢ ــ لقاء الإسكندرية

استيقظت بيسان من نومها ، وأخذت حماما ،وارتدت ملابسها ،واتصلت بسلطان ،وجدته في انتظار اتصالها ،ألقت عليه تحية الصباح ،واتفقا على المكان الذي ينتظرها فيه ،نزلت واستقلت سيارة إلى حيث المكان المتفق عليه ، كان يجلس في سيارته ،أشار إليها ،فتحت باب السيارة ،وركبت في المقعد الأمامي بجواره ،حيته ،ورد التحية ،وتحركت السيارة تجاه الإسكندرية ، وبدأ الحديث بينهما ،وبدأت بيسان :

- لا شك أن أمرا هاما ،هو ما جعلك تحدد هذا اللقاء.

■ الشخصيات المهمة – مبتسما– اللقاء معهم مهم.

- أنا أتيت ،ولا أدرى ماذا وراء اللقاء.

■ لا تتعجلي ،سوف تعرفين كل شيء ،أظن أنك لم تتناولين إفطارك ولا القهوة.

- على مقربة منا ،استراحة ،تقدم قهوة رائعة.

■ وكأنك ،معتاد الجلوس عليها.

- نعم ،جلست عليها مرة ،وأعجبتني القهوة ،فصارت اعتيادا ،أجلس عليها كلما مررت من هنا.

دقائق وتوقف عند الاستراحة ،ونزلا من السيارة ،استقبلهما القائم على العمل هناك بالترحاب ،وكأنه يعرفه ،واختار لهما مكانا متميزا ،وطلب سلطان إفطارا خفيفا ،والقهوة ،ودفع سلطان الحساب وترك مبلغا لا بأس به للعامل ،فشكر له وودعه وداعا كريما ،وأستأنف سلطان وبيسان استكمال الطريق حيث وجهتهما ،ودار الحديث بينهما عن زيارته للشركة أمس فقال :

- أنا قدمت للسيدة أحلام دراسة جدوى خاصة بالمشروع الجديد ،والذي سوف أنفذه بدولة الإمارات ،وناقشت معها الخطوط العريضة ،وتركت لها ملف المشروع ،وطلبت منها الرد قبل سفري.
- لقد أعطتني الملف ،وطلبت منى دراسته ،وتقديم توصية بقبول المشروع أو رفضه.

■ هل انتهيت من مراجعة الملف ؟

- نعم.

■ وما توصيتك ؟

- كتبت التوصية بقبول المشروع.

■ لكنها سوف تعتذر عن المشاركة فيه.

- ومن أين أتيت بهذه المعلومة ؟

■ أنا أعرف السيدة أحلام منذ سنوات ،ولم أجد عندها الحماسة للمشروع ،وقد كانت هذه المقابلة فيها نوع من الفتور على غير المعتاد ،أشعر أن في الأمر شيء ما

- ليس لدى أي معلومة عما تتحدث عنه ،لكن السيدة أحلام ليست كما كانت معي قبل سفري ،ولا أدرى ما حدث فترة غيابي.

■ على كل حال لقد بدأت بالفعل خطوات التنفيذ ،ولن يقدم أو يؤخر قرارها في الأمر شيء ،وعرضي عليها من باب أننا شركاء ،وهذا حق لها أن أعرض عليها ،وحق لها أن توافق أو تعتذر ،وان كنت أتمنى أن توافق.

- وإذا لم توافق !!

■ سوف افتتح مكتبا للمشروع في القاهرة.

- ولا شك أن المكتب الجديد سوف يحتاج إلى مدير وموظفين.

■ نعم ،بكل تأكيد.

- ولقاء اليوم للاتفاق حول أن أكون مديرا للمكتب في القاهرة.

رد مبتسما : - الفضول كاد يفتك بك ،لمعرفة سبب اللقاء ،لكن لا علاقة لهذا اللقاء بالعمل نهائيا.

كانا قد وصلا بالفعل إلى الإسكندرية ، وكانت الساعة تقترب من الحادية عشرة ،أوقف السيارة أمام إحدى الكافيهات الفاخرة ،ونزلا من السيارة ،واستقبلهما النادل ،وحدثه سلطان عن رغبته في مكان هادئ يجلسان فيه ،وصار معهما حتى جلسا ،وانصرف ،وعاد إليهما بالمياه الباردة وطلب منه سلطان القهوة لنفسه ،والعصير البارد طلبته بيسان.

انصرف النادل ،وبدأ الحديث بينهما ،وبدأ سلطان الحديث :

- لا شك أنى كرجل أعمال اكتسبت الخبرة في عرض الموضوعات بما لها من ايجابيات وسلبيات،وعرض نسبة المخاطر التي تكون ناجمة عن المشروع ،ولا أجيد تجميل الأحاديث ، لكن ما طلبت منك اللقاء لأجله لا علاقة له بسلطان رجل الأعمال إنما له علاقة بسلطان الإنسان – وحين جاء النادل بالمشروبات توقف عن الحديث حتى انصرف وعاد ليكمل حديثه - ومنذ رأيتك لأول مرة في مكتب القاهرة وجدت نفسي مشدودا تجاهك ،ولكنى قلت ربما يكون إعجاب بجمالك ،ومظهرك ،ولباقة حديثك ،وحسن أداء عملك ،وحين طلبت وجودك في مكتب الرياض لم يكن لضرورة ملحة ،فما كلفتك به ،كان بالإمكان أن أستعين بشخص آخر لتنفيذ هذا العمل ،لكنى أردت أن أكون قريبا منك حتى أتعرف عليك عن قرب ،كي أتأكد أن سلوكك هو طبع متأصل داخلك وليس تصنعا.

وكانت بيسان تستمع إليه بكل جوارحها ،وعقبت مداعبة :

■ وماذا وجدت ؟

- لو كان تصنعا ،ما كان هذا اللقاء.

■ لكنك لم تحاول الحديث معي وأنا في الرياض إلا فئ حدود العمل.

- كنت أرى أن الحديث معك بالرياض خارج حدود العمل ،نقيصة في حقي ،كما أنى خشيت أن ينعكس وجودك في الرياض على ردك حياء منك.

■ أنا أشكر لك مشاعرك النبيلة في مراعاة شعور الآخرين ،وبالإمكان أن تقول الآن.

- ما تريد

تحدث سلطان بإسهاب عن حياته ،وسنه ،وتعليمه ،وظروفه الاجتماعية ثم وجه إليها سؤالا مباغت : من أنت ؟

فاعتدلت في جلستها وتحدثت عن عمرها ، وتعليمها ، وظروفها ،تحدثت عن شقيقها ناجى ،وعن قتله في سجنه ،وتحدثت عن فالح الذي تقدم لخطبتها ،وعن المهر الذي طلبته منه ،وعن استشهاد فالح ،وعن قرارها بالرحيل إلى مصر ،وحدثته عن رحلة عملها بالكويت ،وسبب عدم الاستمرار هناك ،وعن عودتها القاهرة ولقاء أحلام والعمل معها ، وكانت تتحدث والعبرات أحيانا تخنقها لكنها كانت تغالبها ،وابتسمت وقالت :

■ هذه أول مرة يسألني أحد ،من أنت ؟

وكنت أخاف أن أكون قد نسيت من أنا ،وكان سلطان يستمع إليها باهتمام بالغ ،وتأثر شديد ،وقال لها :

- أنت فدائية عظيمة ،وقلما تلد النساء مثلك ،لقد حافظت على كبرياء نفسك رغم كل الظروف وكان اختيارك للطريق الصعب ،رغم رغد العيش بسهولة لو اخترت الاتجاه المعاكس ،أنا أحييك بكل التقدير ،والاحترام ،وقد ازداد يقيني أنك تستحقين كل الخير،والآن يا بيسان ماذا تقولين فيما عرضته عليك ؟

■ أنت لم تعرض شيئا !!!

- أعرض عليك أن نُكمل مشوار الحياة معا ،وأن تكون مصر محل إقامتك.

■ لن أقول أن طلبك مفاجأة لي ،فقد كان لدى توقع ، ولكن لم أكون رأى وقلت لكل حادثة حديث.

• وها هو الآن ما رأيك ؟

■ لا أنكر أنك محل تقدير ،وإعجاب بالنسبة لي ،ولكن حياتي بها الكثير من العقد.

• نستطيع حل هذه العقد.

■ أنا ليس لي أهل ،ولا وطن.

• سأكون أهلك ووطنك.

■ أنا ليس لي مستقبل ،أطمئن إليه.

• سوف أؤمن لكي المستقبل.

■ أن أسكن بالإيجار.

• سوف اشترى لكي شقة باسمك.

■ أخاف أن تتركني ،وأكون قد فقدت وظيفتي.

• لن يكون لكي وظيفة ،سأقيم لكي مشروعا خاصا باسمك ولحسابك.

■ قد لا أنجب ابنا.

• سأكون أبنك.

■ أنت تحاصرني لا ، أنا أحبك.

■ زوجتك ، وأولادك ،قد تضعك الأيام في خيار بيني وبينهم.

• لن أتخلى عنك.

■ أمهلني بعض الوقت.

• لا تتأخري في الرد.

■ أسبوع واحد فقط ، ولكن أتمنى أن يظل الأمر بيننا.

• كما تريدين.

وابتسم سلطان وقال ،لقد وعدتك بالسمك ،فهيا إلى هناك ،ونادي النادل ،وأعطاه الحساب ،وعليه مبلغا كبيرا ،وخرجا إلى السيارة ،وذهبا إلى المطعم ،وتناولا الغداء من أسماك الإسكندرية ذات الطعم الفريد ،وتناولا المشروبات ،واتجها في طريق العودة إلى القاهرة ،ووصلا والشمس تأذن بالمغيب ،ورفضت توصيلها حتى السكن ،وودعته بابتسامة ساحرة ،واستقلت سيارة وعادت إلى شقتها ،وصعدت ،وأغلقت الباب ،وألقت بنفسها على السرير ،وأطلقت عنان خيالها يسبح بها في سماء العشق ،ويعود بها إلى أرض الواقع ، ولم تنتبه إلا على دقات هاتفها ،والسيدة أحلام ،تلقى عليها التحية ،وتنبه عليها بضرورة وجود الملف الذي معها على مكتبها عند وصولها الشركة ،ولم تعط لها أحلام حتى فرصة الرد.

وأنهت المكالمة ،امتعضت بيسان بشفتيها من تصرف أحلام غير المعتاد ،وأضافته إلى جملة التصرفات التي تصدر من أحلام ،وليس لها سبب عند بيسان !!!!

قامت بيسان ،وأخذت الملف ،ووضعته في حقيبة الأوراق التي تحملها معها في الشركة ،وأبدلت ملابسها ،ولم تجد نفسها في حاجة إلى الطعام أو الشراب ،فاستسلمت للنوم.

١٣ - خطوات جادة

السابعة صباحا تستيقظ بيسان ،تأخذ حمامها المعتاد ،وتتناول الإفطار ،والقهوة ،وتستقل سيارة إلى الشركة ،تضع الملف على مكتب السيدة أحلام - ولم تكن قد وصلت بعد.

وتدخل مكتبها ،وتبدأ في عملها اليومي ،وتأتى أحلام إلى مكتبها ،وقبل أن تستدعى بيسان ،وجدت الملف على مكتبها ،أمسكت به وقلبت أوراقه في عجالة ،حتى وصلت عند ما كتبته بيسان ،وقرأت ما كتبت ،ورأيها بالمشروع ،وأغلقت الملف ،ووضعته في حقيبة أوراقها ،وانصرفت من الشركة ،دون أن ترى بيسان أو تراها ،فقد كانت على موعد بالبنك.

أنهت بيسان عملها ،وانصرفت ،وعادت إلى الشقة ،ولكنها كانت تشعر بنوع من الضيق ،وفكرت في الاتصال بسلطان ،وأمسكت بالهاتف ، ولكنها تراجعت ، أبدلت ملابسها وتناولت الغداء ،والقهوة ،وقررت عدم الخروج ،وجلست بالشرفة ،واسترجعت ما دار بينها وبين سلطان من الحديث ،وبعد أن قلبت الأمر من كافة جوانبه ، استقرت على الموافقة على الارتباط به ،وسوف تخبره بذلك في أول مرة يسألها عن قرارها في اتصاله.

حملت أحلام حقيبة أوراقها وانطلقت بسيارتها صوب البنك ،وهناك التقت بمدير البنك ،وتحدثت إليه عن رغبتها في تمويل كبير ،وبعد المناقشات والاستفسارات ،أبدى مدير البنك الموافقة المبدئية على منحها التمويل المطلوب وذلك بعد إنهاء الإجراءات وتقديم الأوراق اللازمة.

وخرجت أحلام من البنك ،واتصلت بسلطان ،وأكدت الموعد والمكان ،وفى الموعد التقيا معا ،وبعد تناول العشاء ،بدأت أحلام الحديث معه عن العمل :

- لقد انتهيت من دراسة الملف الخاص بالمشروع.

■ وماذا وجدت ؟

- المشروع جيد ،ونسبة المخاطر محدودة ،وعائد المشروع ممتاز في إطار هذه الدراسة ،ولكن !

■ ولكن ،ماذا ؟

- لن يكون لي نصيب معك في هذا المشروع ،ولكنى لن أتقاعس عن أي طلب تحتاج إليه في هذا المشروع.

■ كم كنت أتمنى الشراكة معك ،ولكن رأيك له كل التقدير والاحترام ،وشراكتنا قائمة والحمد لله.

- ربما طلبت أن يكون هذا اللقاء بيننا منفردين ،فأنا أرغب أن تنتهي شراكتنا ،ونحن أصدقاء.

■ لم أفهم !! هل ترغبين في إنهاء الشراكة كلية ،أم أنا فهمت خطأ؟

- لا ،لم تفهم خطأ ،بل هذا ما أقصده فعلا.

■ هل ذلك الأمر لسبب يتعلق بشيء يخصني شخصيا.

- لا ، نهائيا ،أنت شخص جدير بالثقة والاحترام ،لكن لأسباب ترتبط بظروفي الشخصية ،وأرجو أن تعفني من ذكرها حاليا ،واعتبار الأمر نهائيا.

■ هذا أمر كنت أود عدم حدوثه ،ولكن مادام هذا قرارك ،وهذه رغبتك ،فسوف أرسل المحاسب ،والمستشار القانوني ،لإنهاء كافة الأوراق ،وتصفية الحسابات ،وسوف يكون ذلك خلال الأسبوع القادم.

وانتهت جلستهما ،أو الاجتماع الثنائي ،وخرجا ،واتجه كل إلى وجهته ،وعاد سلطان إلى الزمالك ،ولم يتأثر كثيرا بقرار أحلام ،فربما فهم من حديث بيسان في الإسكندرية ،احتمال عدم مشاركة أحلام في المشروع ،لكنه لم يطرأ على ذهنه فكرة تصفية الشراكة نهائيا ،لكنه اخذ الأمر ببساطة ،وهو لديه عشرات الأصدقاء الذين يتمنون الشراكة معه لو أراد ،ولم يشغل باله كثيرا ،وأجرى اتصالا هاتفيا بالمحاسب في الرياض ،وأبلغه بالأمر وطلب منه إعداد المستندات الخاصة بفرع الرياض ،وتجهيزها ،وإبلاغ المستشار القانوني ،وتحديد موعد للقدوم إلى القاهرة خلال الأسبوع القادم.

واتصل بمكتب الطيران وطلب تأجيل السفر لمدة عشرة ايام ،واتصل على بيسان ،وطلب منها اللقاء في الغد ،بعد انتهاء الدوام بالشركة لأمر هام ،ولم يطل الحديث معها ،وأبلغته بالموافقة ،دون السؤال عن أسباب اللقاء.

في الغد ،وصلت بيسان إلى الشركة في موعدها ،ووجدت أحلام في مكتبها ،وألقت التحية ،ومضت إلى مكتبها ،وبعد حوالي الساعتين استدعتها أحلام إلى مكتبها ،وطلبت منها تجهيز بعض الأوراق والمستندات وتسليمها للمحاسب قبل مغادرتها الشركة ،وتركتها بيسان وانصرفت ،وطبعت الأوراق المطلوبة وقدمتها للمحاسب ،وحاولت الاستفسار منه عن أسباب ذلك ،فأعلمها بأن السيدة أحلام بصدد تصفية الشراكة مع السيد سلطان ،دون أن يفصح لها عن أسباب ذلك لعدم معرفته بالفعل ،وأنهت عملها ،وانصرفت ،وبمجرد وصولها ،دق عليها سلطان ، ،وطلب منها اللقاء في مطعم حدد لها اسمه ومكانه ،لم تتردد في الموافقة ،فقد أصابها القلق من خلال نبرات صوته ،ونزلت ،واستقلت سيارة ،ووصلت إلى المكان المحدد ،وبمجرد أن شاهدها عند مدخل المطعم أشار إليها ،ووصلت إليه ،ألقت التحية وجلست ،وطلبا الطعام ،ودارت بينهما دردشة ،فبدأ بالحديث :

- لم أتصل عليك ليلة أمس ،فقد كنت في مقابلة مع السيدة أحلام ،وتأخرت ،وكان لدى بعض الاتصالات المهمة ، ولم أرغب في إزعاجك.

■ اتصالك لن يكون إزعاجا نهائيا ،ولكن على أي شيء اتفقتما

- لقد رفضت الشراكة في المشروع الجديد ،بل طلبت تصفية الشراكة نهائيا.

■ عرفت ذلك اليوم في الشركة من المحاسب ،فقد طلبت منى بعض الأوراق والمستندات وتسليمها للمحاسب ،ولما سألته أخبرني ،أن الأمر يتعلق بتصفية الشراكة معكم ،وليس لديه أسباب لذلك.

- الأمر بسيط ،ولكنه سوف يتطلب تمديد فترة اقامتى بالقاهرة عدة ايام عما كان مقررا ، وهى فرصة أن أكون قريب منك.

■ أنت تخلط الجد بالهزل.

- وما الهزل في ذلك !!!، أخبريني عن قرارك.

■ أي قرار !!

- قرار الارتباط.

■ أنا موافقة ،ولكن لي طلب إن أمكن.

- طلبك مجاب.

■ انتظر حتى تعرفه ،ربما تغير رأيك.

- لن أغير رأيي مهما كان طلبك ،لكن ما هو ؟

■ أريد ثوب زفاف مثل كل البنات.

- سيكون ثوب زفاف ،وعرس ،والآن لنأخذ خطوات عملية

■ أي خطوات تقصد !

- لقد وعدتك بشراء شقة باسمك ،وأن أقيم لك مشروعا خاصا ،وعليه سوف اتصل بمكتب عقارات أعرف صاحبه ،وأطلب منه البحث عن شقة للإقامة ،ومحل يصلح لإقامة المشروع.

■ أنت في عجلة من الأمر ،أما تنتظر حتى تنتهي من فض الشراكة ،ربما تحتاج إلى هذه الأموال.

- لا عليك ،الحمد لله المال موجود ،كما أن العمر لا يحتمل الانتظار.

■ كما ترى.

- فلنقرأ الفاتحة.

وبعد قراءة الفاتحة وبارك كل منهما للأخر ، وطلب سلطان مشروب الفراولة الأقرب إلى الشربات ،وتحدثت معه على أن يظل الأمر بينهما حتى ينتهي مما هو فيه ،وحتى ترتب حالها للخروج من العمل مع أحلام ،وقد استحسن رأيها ،واتفقا على أن يكون اللقاء بينهما بعد نهاية الدوام بالنسبة لها ، وانتهى اللقاء بينهما ،وانصرفت ،واستقلت سيارة ،وعادت إلى شقتها.

واستمرت المكالمات بينهما ،والمقابلات متى سمحت ظروف سلطان بذلك ،وبعد ثلاثة أيام أتصل مكتب العقارات بسلطان واخبره بوجود الشقة ،والمحل وفى منطقة المعادى بالقاهرة ،وبإمكانه أن يمر في الغد لمعاينة الموقع ،كما وأن المحل بنفس العمارة التي بها الشقة ،وأتصل سلطان على بيسان ،وأخبرها بذلك ،واتفقا على اللقاء في الغد لمعاينة الموقع.

في الغد التقت بيسان وسلطان واتجها إلى مكتب العقارات ،وخرج صاحبه معهما وعاينا الموقع ،وكانت مساحة المحل مناسبة لمشروع ملابس السيدات ،التي اتفقت مع سلطان عليه ،وكانت مساحة الشقة ،وتصميمها مناسبا كذلك ،وأعلنا الموافقة ،وتم مقابلة المالك ،وبعد المفاوضات اتفقا على السعر ،وحرر المالك العقود باسم بيسان طوقان العلوي ،الفلسطينية الجنسية ،المصرية الهوى ،السعودية الارتباط ،وحرر سلطان شيكا بكامل المبلغ ،واتفقا على التسجيل بالشهر العقاري في الغد ، وأمضت بيسان السهرة مع سلطان ،وتناولا العشاء معا ، وأخبرها سلطان أن المحاسب ،والمستشار القانوني سوف يصلان غدا ، وربما ينشغل بعض الوقت ،وفهمت بيسان ما يقصده ،وأخبرته أنها لن تتصل عليه ،وسوف تترك هذا الأمر لظروفه هو ،وانصرفت ، وعادت إلى شقتها.

وفى الصباح ،اتصلت تليفونيا بالشركة ،وطلبت أجازة لهذا اليوم ،ومضت إلى الشهر العقاري والتقت المالك وصاحب مكتب العقارات ،وتمت إجراءات التسجيل وتسلمت العقود ،وعادت ،وكان بودها أن تتصل بسلطان لتخبره ،لكنها تراجعت ،خشية انشغاله فيما حدثها به.

وصل المحاسب والمستشار القانوني إلى مصر،ووصلا إلى شقة سلطان فهما يعرفان المكان من قبل ،وفى عجالة وضع كل منهما حقيبته ،وجلس وفتح حافظة أوراقه ،وتناقشا في بعض الأمور ،واتصل سلطان على السيدة أحلام ،واخبرها أنهم جاهزون للحضور متى تحدد الوقت ،وحددت له الموعد في الخامسة مساء ،ووجدها سلطان فرصة لاستراحة القادمين بعض الوقت ،ولم يكن كل هذا يشغل سلطان عن بيسان ،فقام بالاتصال أولا بمكتب للتشطيبات والديكورات ،واتفق معه على الذهاب غدا إلى العنوان الخاص بالمحل والشقة الخاصان ببيسان ،وهناك سوف تكون سيدة في انتظاره ،وهى مخولة باتخاذ ما تراه ،وما عليه إلا أن يسمع منها المطلوب ،ويحدد التكاليف ويخبره بها ،واتفق على ساعة محددة ،وبعدها اتصل سلطان على بيسان ،واطمئن عليها ،وعلم منها ما تم بالأمس ،واخبرها باتصاله بالمكتب الخاص بالتشطيبات ،وما عليها إلا أن تتواجد في الموعد المحدد وتحدد طلباتها فقط ،واخبرها أنه سيكون في لقاء السيدة أحلام في الخامسة مساء ،وبصحبته المحاسب والمستشار القانوني ،لتصفية الشراكة بينهم ، وفي الموعد المحدد وصل سلطان ومن معه ،واستقبلتهم السيدة أحلام ،وجلست ومعها المحاسب والمستشار

القانوني الخاصان بها ،وطلبا من المحاسبين والمستشارين مطابقة السجلات والأوراق ومراجعتها ،وإذا وجدت نقاط خلاف تدون في ورقة خاصة ويعرض الأمر عليهما ،وانصرفت هى وسلطان إلى مكتبها ،وجلسا حتى حوالي الحادية عشرة مساء تناولا خلال الجلسة القهوة والشاي ،وتخلل هذا الوقت تناول الطعام الذي أرسلت أحلام في طلبه من مطعم مشويات قريبا من الشركة لهما وللمحاسبين والمستشارين ،وقد انتهت اللجنة من أعمالها دون وجود نقاط خلاف ،وتسلم كل من أحلام وسلطان تقريرا محاسبيا نهائيا من محاسبه وعليه إمضاء محاسب الطرف الأخر ،وبعدها انصرف الجميع على أن يتم اللقاء في الغد بين أحلام وسلطان ،لتصفية المعاملات المالية المستحقة لأي الطرفين ،وذهب سلطان ورجاله إلى الشقة ،وكان قد أرهقهم طول الوقت فلم يطيلا السهر وناما.

كانت بيسان في الغد في أجازة فقد أعطت أحلام أجازة للعاملين بالشركة لإنهاء أعمال التصفية ،فذهبت إلى المحل وانتظرت مندوب مكتب التشطيبات ،وفى الموعد حضر واستقبلته بيسان وتناقشا في أكثر من تصور للتصميم حتى اتفقا على الوضع النهائي ،وصعدت معه إلى الشقة واتفقا على العمل المطلوب ،وعلى المدة الزمنية خلال شهرين على الأكثر ،وأن يحدد التكاليف ويبلغها للسيد سلطان ،وعادت إلى شقتها ،وانتظرت اتصالا من سلطان حتى فقدت الأمل فخلدت إلى النوم.

وفى الغد ،التقى سلطان وأحلام ،وتم تصفية المعاملات المالية ،وحررت له شيكا بكامل مستحقاته ووقعت عليه ،وأخبرته أن فض الشراكة لا يعنى إنهاء العلاقة بينهما ،وأن مكتبها مفتوح له في أي وقت ،وأكد لها علي استمرار صداقتهما،وأخذ الشيك وانصرف ،واتصل على بيسان وطلب مقابلتها عند البنك ،وهناك قام بفتح حساب لها ،وأودع فيه مبلغا ماليا يكفى لتجهيزات المحل والشقة ، وشراء البضاعة اللازمة لافتتاح المشروع ،وأخبرها بسفره في الغد مع المحاسب والمستشار القانوني ،لإنهاء بعض الأعمال الخاصة بالشركة الجديدة بدولة الإمارات ،وأنه قد أوكل لبعض أصدقائه مهمة البحث عن مقر جديد لفرع القاهرة ،وسوف يرسل من يتولى الإشراف على تجهيزه ،وعليها أن تتابع الأعمال الخاصة بها ،واتفقا أن يكون عقد القران عند عودته ،وعليها أن تنهى عملها بالشركة مع أحلام ،وتتفرغ لشئونها ،وودعته وانصرفت.

١٤ – حوار ساخن

عادت بيسان إلى شقتها ،وتناولت الطعام ،وفكرت فيما مر من أحداث كثيرة ،وسريعة ،والخطوة التي اتخذتها نحو الارتباط بسلطان ،وهل هذه الخطوة صواب أم خطأ ؟ ودار حوار بين بيسان ،وبيسان حوار ساخن جدا ،بدأت بيسان الإنسانة تسأل :

- هل الارتباط والبحث عن شريك حياة شيئا يحاسب الإنسان عليه ؟

- لا ،لا أحد ينكر على أحد بناء أسرة ، ولكن.

- ولكن ،ماذا ؟

- هل أنت لديك مشاعر حقيقية تجاه سلطان.

- اعتقد ذلك.

- هل متأكدة من مشاعرك تجاهه ،ام أن ما عرضه عليك ،جعلك تتوهمين أن لديك مشاعر تجاهه !!!

- لقد كان محل إعجاب عندي ،قبل أن يفتح معي أي حديث ،بل اننى حاولت أن استثير مشاعره.

- تستثيرين مشاعره ،أم غرائزه !!!

- ماذا تقصدين ،أنا لست بهذا السوء.

- من قال أن إثارة غرائز الرجل من قبل الأنثى دليل على السوء.

- أنت تحاولين اتهامي بما لم أفعل ،أو حتى أقصد.

- أنـا لا أتهمـك ،بـل أؤكـد أنـك قصـدت ،وفعلـت ،حتـى تـم مـا كنـت تخططين له.

- أخطط له !!!!

- نعـم ،كـان همـك أن يصـبح لـديك شـقة تمليـك ،ومشـروع خـاص ،وتصبحين سيدة أعمال ،وزوج يحقق لك أحلامك ،ولا يأخذ من وقتك الكثير ،وقد وجدت كل ذلك ينطبق على سلطان ،ولم يكن لديك أي استعداد لضياع فرصة ربما لا تتكرر.

- أنا فعلت ذلك !!!!

- نعم ، ولا غضاضة في ذلك ،المهم المحافظة على ما تم تحقيقه

- وهـــل يمكـــن أن يضـــيع كـــل ذلـــك فـــي لحظـــة ،الشـــقة ، والمشروع ،وسلطان؟

- اطمئني ،الشقة ،والمشروع لن يضيعا ،لكن قد يضيع.

سلطان !!!

- سوف أحافظ عليه بكل ما أوتيت من جهد.

- قد يضيع رغما عنك.

- ماذا تقولين !!

- أليس الموت يأتي رغما عنا.

- ماذا تقولين !! ما لنا والموت ،كلامك كله سيئ.

- ليس الكلام بسيئ ،ولكنك تحاولين الهروب من الحقيقة.

- تبا لك ،لا تتركين لي فرصة كي افرح فيها ،أنا أكرهك

- بـالعكس ،أنـا أحبـك ،وأحـاول أن أذكـرك بأنـه لا أمـان لأحـد ،ولا دوام لشيء

- على كل حال ،شكرا لنصائحك الثمينة !!!وقد أفسدت فرحتي !!!

وقطـع هذا الحـوار دقـات الهـاتف ،مكتـب التشـطيبات،يطلب منهـا التواجد غدا بالموقع لإبداء رأيها في بعض الأمور،وطلبت أن يكون ذلك بعد الثالثة عصرا ،واتفقا على ذلك.

وعـادت بيسـان إلـى حوارهـا السـابق ،لكنهـا لـم تجـد فـي نفسـها الرغبة في استكمال حوار عقيم ،وان كانت قد وجدت غصة في حلقها ،من ذكر الموت الذي قد يأخذ منها سلطان ،فقد أخذ الموت منها الأب والأم ،والأخ ،والخطيب ،وها هو الخوف يتملكها على سلطان ،فهو كل دنياها الحالية.

نهضت بيسان من مكانها ،وأعدت فنجانا من القهوة ،وجلست في الشرفة تتناوله ،وبدأت تفكر في كيفية فتح موضوع إنهاء العمل مع أحلام ،كيف تبدأ ،وهل تخبرها عما بينها وبين سلطان ،أم تأخذ برأي سلطان ولا تخبر أحد حتى يتم كل شيء ،وبعد تفكير قررت أن تتقدم باسـتقالتها إلـى أحـلام ،وذلـك لتفرغهـا لمشـروعها الخـاص ،وكتبـت استقالتها ،ووضـعتها في حافظـة أوراقها ، واستمتعت بصـفاء السماء ،وهدوء الليل في ساعاته المتأخرة ،ولما أحست بحاجتها للنوم ،قامت إلى سريرها ،وألقت بجسدها ،وراحت في نوم عميق.

١٥- لقاء

استيقظت بيسان من نومها ،وأخذت حمامها ،وتناولت الفطور والقهوة ،وارتدت ملابسها ،وحملت حافظة أوراقها وحقيبة يدها ،ونزلت إلى الشارع ،واستقلت سيارة إلى الشركة ،وجلست في مكتبها ،فلم تكن أحلام قد وصلت إلى الشركة بعد ،وبعد وقت قليل ،إذا بالساعي يبلغ بيسان باجتماع مع السيدة أحلام بعد نصف ساعة فى قاعة الاجتماعات ،وحين حاولت الاستفسار علمت أن الاجتماع لجميع العاملين بالشركة ،تجهزت للاجتماع وفى الموعد كانت موجودة بقاعة الاجتماعات ،وبدأت أحلام الاجتماع بعرض موجز عن انجازات الشركة في المدة الماضية ،وأكدت أن هذا الانجاز تم بفضل الله ثم بجهودكم أنتم ،ولكن هناك ظروف طارئة سوف يترتب عليها تقليص العمل ،ومن ثم سوف يترتب عليه عدم قدرة الشركة على الوفاء بالتزاماتها تجاهكم ،وعليه فان الشركة سوف تقلص عدد العاملين بها ،وأنها على أتم استعداد لإنهاء عمل من يرغب في ذلك طواعية مع تعويض مناسب من الشركة له ،وسوف يكون ذلك محل تقدير وسيكون له الأولوية في حالة استئناف الشركة عملها مستقبلا ،وسوف يتولى المستشار القانوني والمحاسب هذا الأمر ،ورفعت الاجتماع وانصرفت إلى مكتبها ،وعند خروجها طلبت من بيسان أن تلحق بها على مكتبها.

خرجت بيسان حاملة أوراقها ،واستأذنت ودخلت المكتب ،وألقت التحية ،وجلست ،وانتظرت حتى تبدأ أحلام الحديث ،ولم تطل الانتظار إذ توجهت إليها أحلام بالسؤال :

- ماذا في رأسك بعد خروجك من الشركة ؟

■ كأنك قد اتخذت قرارك بإنهاء عملي !!!!

- أعلم أنك كنت تفكرين في إقامة مشروع خاص ،وانك قد اتخذتى خطوات في هذا المشروع.

■ ألا يوجد سر في هذا البلد !!

- لا يوجد أسرار في السوق.

■ نعم ،لقد اتخذت مكانا في المعادى ،وبدأت في تجهيزه.

- لكنك لم تتحدثين معي عن هذا المشروع ،حتى بحكم الصداقة.

■ كنت سوف أحدثك في كل شيء ،لكنى وجدتك مشغولة جدا ،ووجدت عدم رغبة منك في الحديث معي إلا في أضيق نطاق.

- تقصدين أن هناك تغيير في المعاملة من ناحيتي تجاهك.

■ نعم ،لقد لاحظت ذلك منذ عودتي من الرياض.

- ولما لم تسألي عن سبب ذلك ؟

■ كنت انتظر الفرصة المناسبة ،وأفاتحك في هذا الأمر ،كما أن قراراتك في الفترة الأخيرة كانت كلها مفاجأة لي ،وشعرت أن ليس لديك رغبة في الحديث معي ،وتعاملت على أنى موظفة ،وأنت صاحبة عمل ،وهذه حقيقة ولا غضاضة في ذلك.

- أنا لم أتعامل معك على أنك موظفة ،وأنا صاحبة العمل ، بل اعتبرتك صديقة من البداية ،أما بخصوص القرارات الأخيرة خصوصا ما يتعلق منها بشراكة سلطان وتصفية هذه الشراكة رغم الأرباح العالية ،فهي لاسباب شخصية لا علاقة لها بسوق العمل ،وربما يوما ما ستعرفين أسباب ذلك ،على كل حال أنت تعرفين مكانتك ،وسوف تظل هذه المكانة ،ومسألة التعويض الخاصة بك قد طلبت من المحاسب أن يتركها لي.

■ أنا أشكرك على كل ما قدمته لي منذ عرفتك ،وأنا سوف أتقدم باستقالتي ،ولن أحصل على أي تعويض ،فدوام العلاقة معك هي أفضل تعويض ،وسوف أتابع تجهيزات المكان ،وأتفرغ لعملي ،ولا شك سوف تكونين أول المدعوين لحفل الافتتاح.

- بكل تأكيد ،سوف أكون سعيدة بذلك ،بل سوف أكون بجوارك خلال فترة الإعداد إذا أردت ذلك.

■ هذا شرف لي ،ووقفت وهمت بالانصراف.

- إلى أين ؟

■ سوف أحضر استقالتي.

- هل كنت قد أعددتها من قبل.

■ لا ،لكنى سوف اكتبها وأعود.

قامت بيسان وانصرفت إلى مكتبها ،وبعد حوالي ربع الساعة عادت إلى أحلام ،وقدمت استقالتها ،ووقعت عليها أحلام بالموافقة ،وتسليم ما لديها من عهدة ،وصرف مكافأة تعادل مرتب ستة شهور ،وبعد مجادلات حول رفض بيسان للمكافأة ،وإصرار أحلام على صرفها ،انصرفت بيسان إلى المستشار القانوني ،وأرسل معها من يتسلم ما لديها من عهدة ومستندات ،ووقع بالاستلام ،وعادت إلى المستشار القانوني مرة أخرى ،ووقع للمحاسب بأنه لا مانع من صرف مستحقاتها ،وذهبت إلى المحاسب ،وحرر لها شيكا بمستحقاتها ،وسلمت على زملائها ،وعادت إلى مكتبها وجمعت ما يخصها ،ومرت على مكتب أحلام ،وعانقتها ،وانصرفت.

وخرجت بيسان من الشركة ،وأحست أن قيدا كان حول عنقها وتخلصت منه ،وأنها تستنشق الهواء بطعم الحرية ،وراحت تملأ رئتيها منه ،واستقلت سيارة ،وعادت إلى شقتها ،وألقت ما تحمله من أوراق ،وتخلصت من ملابسها ،وأخذت حماما ،أطالت في وقته مستمتعة بالماء ،وخرجت وتناولت الغداء ،وألقت بنفسها على السرير ،ولم تستيقظ إلا بعد العشاء ،وكأنها كانت في حاجة إلى هذا القسط من النوم ، وتناولت قهوتها ،وجلست في الشرفة تستمتع بالهواء ،وترتب في ذهنها ،ماذا هي فاعلة من الغد ؟

١٦- الافتتاح الكبير

بدأت بيسان في متابعة التجهيزات في المحل وكان العمل يسير على وتيرة سريعة ،وكانت قد تعاقدت مع عدد من المستوردين ،والمنتجين المحليين على كافة مستلزمات المشروع ،وتم توريد المعروضات وتم ترتيبها ، وبدأت بيسان في الاستعداد للافتتاح ،وكتابة الدعوات ،واستعانت بالسيدة أحلام ،ولم تبخل عليها بشيء ،بل طلبت منها توجيه الدعوة لعدد من سيدات المجتمع اللاتي تعرفهن أحلام ، واصطحبتها وتوجهت إلى مكتب أحد كبار المسئولين ليكون هو من يقوم بقص الشريط ،ووقفت السيدة أحلام معها وقفة صديقة مع صديقتها ،وفى الموعد المحدد تم الافتتاح على أكمل صورة ،وفوق ما كانت بيسان تتمنى ،وتحلم ،ولم يكن ينقص بيسان في هذه الليلة سوى وجود سلطان وقد كان على علم بالموعد لكنهما اتفقا على أن عدم وجوده ،وعدم ظهوره في الصورة أفضل لهما معا ،وقد اقتنعت بيسان بذلك ووافقته على ذلك.

وبعد انتهاء الليلة وانصراف المدعوين ،صعدت بيسان إلى شقتها ،وأبدلت ملابسها ،وأخذت حماما ،ولكنها قبل أن تخلد إلى النوم ،كان سلطان يتحدث إليها عبر الهاتف يبارك لها ،ويشاركها فرحتها ،وكم كانت سعادتها بهذه المكالمة ،واخبرها أن لديه بعض الأعمال سوف ينجزها ويحضر إلى القاهرة في غضون عشرة أيام على الأكثر ،وحين حدثته عن ترتيبات الزفاف ،طلب منها ألا تفعل شيء حتى يحضر ويعدان كل شيء معا ، وأنهت المكالمة وخلدت إلى النوم.

وقد رأت نفسها وهى ترتدي فستان الزفاف ،ولكن لونه ليس ابيضا ككل فساتين الزفاف ،بل لونه اسود ،ورأت كل الحضور يرتدين اللباس الأسود ،وهو زفاف قد غاب عنه العريس ،وقامت من نومها مفزوعة ،والعطش يسيطر عليها بشدة ،قامت تستعيذ بالله مما رأت وتناولت زجاجة ماء وشربتها عن أخرها ،ولم تستطع النوم مرة أخرى ،وأشعلت سيجارة ،وصنعت فنجانا من القهوة ،رغم أن الساعة كانت تقترب من الخامسة صباحا ،وبعد حوالي الساعة وقد دار برأسها ما دار من الأمور والأفكار ،قامت أخذت حماما ،وتوضأت وصلت الصبح وتناولت الإفطار ،وجلست في شرفة شقتها تستنشق الهواء النظيف ،ونسمات الصباح ،وحاولت أن تقنع نفسها بان ما رأته لا يتعدى كونه أضغاث أحلام ، وظلت في مكانها بعضا من الوقت ،حتى قامت وتجهزت للنزول إلى المحل ،فقد كانت العاملة قد وصلت وبدأت في تنظيف المحل ،وحضرت أيضا المسئولتان عن المبيعات ، وفرد الأمن ،ونزلت إلى العمل ،وكانت الساعة تقترب من العاشرة ،وأمضت يومها في المحل لم تتحرك إلا عند الساعة الثالثة عصرا ،حيث صعدت إلى شقتها وتناولت الغداء ،وخلدت إلى الراحة بعض الوقت ،وعند السابعة مساء كانت قد عادت للمحل فمعظم زبائنها تخرجن في المساء ،وهكذا أمضت يومها تحاول أن تتخلص من الكابوس الذي حل على رأسها ليلة أمس ،وقد اطمأنت بعض الشيء بعد مكالمة بينها وبين سلطان يطمئن فيها عليها ،وكانت في هذه المكالمة قد أظهرت لسلطان ،حبها له ،بل عشقها له ،وشوقها إليه

،وخوفها عليه ،وقد بادلها سلطان كلمات الحب والغزل ،واخبرها أن البعاد لن يستمر طويلا ،وأنه يسعى لإنهاء ما لديه من أعمال حتى يأتي إليها ،وان الزفاف سوف سيكون في اليوم الثالث لوصوله القاهرة ،حتى يكون لديها الوقت لتجهيز نفسها ،واتفقا على ذلك ،وهدأت نفسها ،وشعرت بدرجة من الأمان والراحة ،وبعد حوالي الأسبوع أتصل بها سلطان ليخبرها أنه سوف يصل إلى القاهرة بعد غد واخبرها بموعد الرحلة ورقمها ،وحين أخبرته أنها سوف تكون في انتظاره بالمطار ،طلب منها ألا تفعل ،وانه سوف يتصل بها عند وصوله وسوف يكون هناك من ينتظره ،ومر اليومان ببطء وكأنهما أسبوع ،وفى اليوم المحدد كانت بيسان تنتظر مرور الوقت الذي كان يمر ثقيلا بطيئا ،حتى تجاوزت الساعة موعد وصوله ،بل مر وقتا أطول مما ينبغي على اتصاله ،ولم يتصل ،وحاولت أن تمنع نفسها من الاتصال عليه ،لكنها لم تستطع ذلك ،واتصلت على رقمه المصري ووجدته مغلقا،ولما زاد القلق لديها ،اتصلت بشركة الطيران للاستفسار عن الرحلة ،وقد أكدت لها الشركة وصول الرحلة في موعدها ،وعند الاستفسار عن سلطان ،أخبرتها الشركة أنه قد تخلف عن الرحلة ،وزاد ذلك من قلقها وطرحت على نفسها تساؤلات كثيرة :

ما سبب تخلفك يا سلطان ؟

لماذا لم تخبرني بتأجيل سفرك ؟

ماذا حل بك يا سلطان ؟

ودارت برأسها أسئلة أخرى لم تجد لها إجابات ،ولم تنم ليلتها ،وقررت أن تعرف وتطمئن ،وعند الساعة التاسعة صباحا وهو موعد الدوام بالنسبة للشركة بالرياض ،وكانت قد قررت من الأمس الاتصال علي نغم فهي صديقتها ،اتصلت على نغم وبعد السلام والاطمئنان عليها وعلى أحوالها ،وقبل أن تسأل بيسان عن شيء ،أخبرتها نغم بأن الشركة اليوم مضطربة والأوضاع ليست على ما يرام ،بسبب إصابة السيد سلطان بأزمة قلبية حادة ومفاجئة وذلك بمطار الملك خالد الدولي قبيل سفره إلى القاهرة بالأمس ،وأبدت ليلى تأثرها بالحالة ،وبمحاولة الاطمئنان على حالته أكدت لها نغم أن الأخبار غير مطمئنة ،وأن الحالة ليست مستقرة ،وأنها تزداد سوء كل ساعة ،وأنهت ليلى المكالمة مع نغم ،داعية له بالسلامة ،وطلبت من نغم أن تطمئنها على الحالة إذا جد جديد ،ولم تجد في نفسها رغبة للنزول إلى المحل بل أكتفت بالاتصال على المسئولة والاطمئنان على العمل وأخبرتها أنها لن تأت اليوم.

وما هي إلا ساعات قليلة ،وإذا باتصال من نغم ،تخبرها أن السيد سلطان قد فارق الحياة ،وان مراسم الدفن والعزاء سوف تكون في الغد ،وأنهت المكالمة معها ، ولم تنطق بيسان بكلمة واحدة.

وما إن أغلقت الهاتف حتى أصابتها حالة من الخرس المؤقت ،وسرعان ما سيطر على رأسها الحلم المشئوم ،الذي رأته ليلة الافتتاح ، وبدأت الدموع تنزل من عينيها والحزن قد بدأ يتجدد على فراق الأحبة ،وكانت تدرك بيسان أنها لا تستطيع أن تحزن على سلطان إلا بينها وبين نفسها ،ولا تستطيع أن تقيم الحداد على رحيله إلا مع ذاتها وفى جدران شقتها ،وظلت بيسان في حالتها اليائسة البائسة ،وقد تم استدعاء الطبيب الذي قرر انها مصابة بصدمة عصبية شديدة ،وأنها تحتاج إلى الراحة وتغيير الجو، ولم تكن أحلام ببعيدة عنها بل كانت بجوارها ،ولم تتخل عنها نهائيا ،وكانت قد علمت بوفاة سلطان ،وبكته بكاء الصديق المخلص والشريك النزيه ،بل أنها نعته في كبرى الجرائد المصرية باسم شركتها ،وحين أكد الطبيب على أحلام ضرورة خروج بيسان من هذه الحالة ،ومن هذا الجو ،قررت أحلام اصطحاب بيسان إلى الإسكندرية لقضاء بعض الوقت ،ولم يكن أمام بيسان سوى الموافقة ،وانطلقت أحلام وبيسان إلى الإسكندرية ،وهناك حاولت بيسان أن تتماسك وتساعد نفسها على الخروج من هذه الحالة والعودة إلى حالتها الطبيعية ،وقد نجحت بمساعدة أحلام في التغلب على الحالة وبعد عشرة أيام عادت أحلام وبيسان إلى القاهرة ، وقد وضعت بيسان حزنها على سلطان في حقيبة أحزانها بجوار حزنها العميق على والديها وعلى ناجى أخيها ،وعلى فالح حبيبها وخطيبها ،وأغلقت حقيبة الأحزان وقررت أن تستأنف حياتها.

١٧- الخروج من حالة الحزن

عادت بيسان إلى شقتها والى عملها ،ولكن شيئا بداخلها قد تحطم ،ونقش الحزن على جدار قلبها نقوشه ،ولم تعد الابتسامة الصافية تخرج كما كانت ،وفى الوقت ذاته كانت بيسان تنتظر بين الحين والأخر من يأت ليطالبها برد الأموال التي أعطاها سلطان لها !!

وكانت في حيرة لو حدث هذا ، هل ترد هذه الأموال ،أم تنكر الأمر كلية وليس هناك ما يثبت أنها حصلت على أي شيء منه ،ومضت الأيام حلوها ومرها ،وأطمئن قلبها أن لا أحد يطالبها بشيء فقد مضى ما يزيد على ثمانية شهور على وفاة سلطان ،ولم يتحدث أحد إليها في هذا الشأن ،وزاد الاطمئنان لديها ،بعد أن التقت بالمحاسب القانوني الخاص بالسيد سلطان ،في القاهرة مصادفة ،وسلمت عليه وتناولت معه القهوة ،وتحدثت معه بخصوص وجوده في القاهرة ،وأخبرها أنه جاء لإنهاء أعمال متعلقة بأسرة السيد سلطان فقد طلبت منه الأسرة تصفية كافة الأعمال خارج المملكة ، والاكتفاء بفرع الرياض ،ولم يذكر أي شيئا بخصوصها ،وبدأت في التعايش مع الأمر الواقع ، والاعتياد عليه.

كانت أحلام قد رتبت للارتباط بمحاسب كان يعمل معها بالشركة اسمه جلال ،وكان قد تزوج من قبل واستمر زواجه ما يقرب من خمس سنوات لم يرزق بأولاد ،وماتت زوجته بأزمة قلبية مفاجئة ولم يكرر الزواج بعدها ،وقد تجاوز الأربعين من العمر ،ولكنه يحتفظ بقدر من الوسامة ،وحسن المظهر ،وحسن الحديث أيضا ،وكان في ظروف مادية فوق المتوسطة ،وكانت أحلام تكبره بثلاث سنوات ،وكانت كلما تحدثت معه ،ترى في عينيه كلمات تأبى الخروج ،وكأن لسانه معتقل ،وكانت دائما تشعر بانبهاره بجمالها ،ولكن هيهات أن ينطق !!!

وقررت أحلام كسر هذا الحاجز ،فاستدعته إلى مكتبها ،وتناقشت معه في بعض الأمور ،وفى نهاية اللقاء سألته : إن كان لديه أي ارتباطات بعد مواعيد العمل ،ولما أجابها بالنفي ،دعته لتناول الغداء معها ،وحددا الساعة والمكان ،وتجهزت للقاء ،وبدت كأجمل ما تكون النساء ،وحضر جلال في أناقة تفوق المعتاد ،وكأنه قد فهم أسباب الدعوة أو توقعها ،وكان قد قرر أن يفاتح أحلام في الزواج ،وصل جلال في الموعد فقد كان يحترم موعده ،سلم ،وجلس ،وطلبا الطعام ،ودار الحديث بينهما،وبدأت أحلام بالسؤال :

- كيف لك أن تتحمل كل هذه الوحدة دون البحث عن شريك ؟

■ نعم ،الوحدة صعبة ،لكن كل شييء له ظروفه.

- هل ظروف مادية ؟

■ لا، لا ،الحمد لله.

- عدم وجود شخصية مناسبة ؟

■ ربما !، ولكن ألست أنت في نفس الخندق.

- ماذا تعنى ؟

■ ألم تعيشين في الوحدة ،وتغلقين الباب على نفسك وقلبك !!

- ربما الوضع مختلف.

■ فيما الاختلاف.

- أنا زوجي توفى وترك لي ولد ،وطفلة ،ولم يكن هناك من يتزوجني وأبنائي ،وربما كان أهل زوجي لا يسمحون لي بحضانة الأبناء في حالة الزواج ، وكنت حريصة على تحقيق استقرار مادي لهما ولى أيضا.

■ وهل بإمكانك الآن أن تتزوجي ؟

- وما المانع ؟

■ ربما تجدي معارضة من الأبناء.

- لقد تحدثت معهما في هذا الأمر.

■ وما ردهما ؟

- لقد أبدى الولد موافقته مع بعض التحفظات ،ولكن الغريب أن الفتاة هي التي أبدت اعتراضها وبشدة ،وبعد المناقشات وبعض وقت وافقت على الأمر ولكن بنفس تحفظات شقيقها.

■ وما هذه التحفظات ؟

- أن لا يدخل رجل غريب عليهما ،وأن أحدد لكل منهما نصيبه في ثروة والدهما.

■ وهل فعلت ؟

- نعم ،أنا منذ وفاة والدهما وأنا حددت لكل منهما نصيبه ،واعتبرت أننا شركاء كل بنسبته ،وأعطيت لنفسي نسبة مقابل الإدارة ،وليس لدينا مشكلة في هذا الموضوع نهائيا.

■ ما المشكلة إذن ؟

- رفضهما دخول رجل عليهما.

■ أنا أرى أن هذا أمر طبيعي.

- إذن ،إما معهم ،وإما مع الزوج.

■ يمكنك تحقيق المعادلة.

- كيف ؟ أيها المحاسب العبقري !!وضحكت.

■ الأمر بسيط ،هل تعرفين الزوج الزائر.

- بابتسامة ،لا لم اسمع من قبل.

■ الزوج الزائر ،هو زوج يتزوج بامرأة تحول ظروف أحدهما أو ظروفهما معا ،الإقامة مع بعضهما كل الوقت ،فيكون الحل أعداد عش للزوجية يلتقيان معا لقضاء أوقات جميلة مع بعضهما ،ويعود كل إلى حياته ،حتى تطرأ ظروف قد تغير الوضع.

- أيكون زواجا سريا.

■ لا ،بل زواجا علنيا ،ومعلوم للجميع.

- إذا كانت ظروفي ،ربما تجعلني أقبل بمثل هذا الوضع ،فماذا يجعل الطرف الأخر أن يقبل به ؟ وهل أنت تقبل بمثل هذا الوضع ؟

■ ولما لا إذا كانت ظروف من أرغب الارتباط بها تفرض ذلك.

- بخجل ،وابتسام ،لم أفهم !!

■ أنا أقبل ذلك لأجلك أنت ،هل توافقين على أن نرتبط أنا وأنت.

- أنت لا أحد يستطيع أن يرفضك ،ومجنونة من ترفض الارتباط بك.

■ إذن أنت توافقين على الارتباط.

- نعم ،ولكن أنا أكبر منك.

■ هذا تخلف ،حان الوقت للتخلص منه ،لماذا يكون الرجل أكبر من المرأة ،كما وأن الفارق بيننا سنتان وكم شهر.

- أن تحسبها بالشهر.

■ أليست وظيفتي المحاسبة ،ومن يحب أحد يهتم بكل شئونه.

- تتحدث عن الحب ،وكأنه كامن لديك.

■ نعم أحبك منذ سنوات ،وكل يوم يزداد هذا الحب.

- لما لم تحاول أن تعبر عنه.

■ لم يكن لديك الوقت للاستماع إلى كلمات الحب.

- لكنك لم تحاول ،أو تجرب.

■ من الجهل أن يتحدث الإنسان إلى إنسان في موضوع خارج اهتمامات الطرف الأخر.

- هل تعتقد أن هذا السن هو سن حب.

■ من قال أن للحب سن أو مواقيت ،أنا أحب مادام لي قلب ينبض.

- بابتسامة ،أنت لست محاسبا ،بل أنت أديبا.

■ لنتفق ،ماذا تطلبين.

- بضحكة عالية أشياء بسيطة: شبكة ومهر وفستان زفاف وشهر عسل.

■ طلباتك كلها أوامر.

- طلباتي ،اسمع يا جلال : لنتفق على أننا ماضون في طريق الزواج ،وأنا ليس عندي أي طلبات ،وسوف أتحدث مع أبنى وابنتي في هذا الأمر واخبرهما من يكون الزوج ،وليكن بيننا اتصال.

■ لا بأس ،ولكن حتى يقضى الله أمرا ،أنا في أجازة.

- ولما ؟

■ هذا أفضل لنا معا.

- معنى ذلك انه إذا لم نرتبط ،لن تأتى للشركة.

■ بكل تأكيد ،لم يعد هناك سبب من بقائي في الشركة.

- ألا يمكنك الفصل بين عملك وعواطفك.

■ وهل تمسكت بالعمل إلا من أجل عواطفي.

- ليفعل الله بنا خيرا.

وانهيا حديثهما وانصرفا وعادت أحلام إلى شقتها ،ووجدت ابنتها وقد عادت من دروسها ،ولم تتناول الغداء وكانت بانتظارها ،وأخبرتها أنها تناولت الغداء في لقاء عمل ،وان عليها ألا تنتظرها مادامت لم تأت في موعد الغداء ، وسألت عن أخيها فأخبرتها أن عنده محاضرة متأخرة ، وتركتها وقامت إلى غرفتها ،وأبدلت ملابسها ،وجلست في الشرفة بعض الوقت ،واتصلت على بيسان واطمأنت عليها ،وعلى أحوالها ،وطلبت منها أن يلتقيان في الغد ،وحددا المكان والزمان.

١٨- لقاء المصارحة

وحين التقيا تبادلا الأحضان والقبلات ، تحدثتا عن الأمور العامة ،والسوق وعقبات العمل ،وبعد تناول القهوة ، تحدثت أحلام إلى بيسان :

- دعك من هذا الكلام ،فما طلبت اللقاء لنناقش أمور السوق والعمل ، لكنك تعلمين أنى أثق فيك وأثق في مشورتك أنها سوف تكون صادقة حتى لو لم تكن صائبة ،واعلم انك صديقتي المخلصة.

■ الله يعلم أنى أحبك ،وأتمنى لك الخير ،قولي ما تريدين وأنا كلى أذان صاغية.

- تعلمين أنني منذ وفاة زوجي وقد أعطيت كل وقتي للعمل ورعاية ولدى وابنتي ،وقد كنت لهما الأم والأب ،وكان ذلك على حساب راحتي ، وصحتي ، واحتياجاتي كامرأة ،ولم أبخل بشيء عليهما ،وها هما اليوم الولد في السنة النهائية بالجامعة ،والفتاة في السنة الثانية بالجامعة ،وقد وفرت لهما كل سبل الراحة ،وأعددت لهما ما يسعدهما في المستقبل ،ولم افرق بينهما ،فكما للولد شقته ،للبنت شقتها ،وكما له سيارته ،لها سيارتها ،ولكل منهما نصيبه من ميراثه في ثروة أبوهما ، ولم تمتد يدي إليه ،وقد جعلت لهما حسابهما الخاص ،وأودعت لهما من مالي ما يكفى كل منهما ليبدأ حياته دون تعب أو مشقة.

■ أعلم هذا ،أين المشكلة ؟

• المشكلة ،أنني غير مسموح لي بالعيش ككل البشر ،ليس من حقي أن ابحث عن حياتي الخاصة ،ليس من حقي أن أرتبط برجل يؤنس وحدتي ،ويشعرني أنني أنثى لها احتياجات هو يلبيها لها ،ليس من حقي شيء وعلى كل الواجبات.

■ هل جد شيء هذه الفترة ،وهناك اعتراض.

• نعم ،أنا منذ فترة أبحث عن ارتباط برجل أكمل حياتي في كنفه ، فغدا يتزوج الولد وتتزوج البنت ،ولن أجد إلا الجدران أحدثها وتحدثني ،وقد حاولت الفترة الماضية أن أخفف الحمل الثقيل الملقي على عاتقي ،وأجعل نشاطي في السوق يترك لي متسع من الوقت أجعله لنفسي.

■ أفهم أن تصفية الشراكة مع سلطان ،ورفضك المشروع الجديد كان لنفس السبب.

• نعم ،وقد قلت أنك سوف تعرفين ذلك يوما ما.

■ وهل وجدت ما تبحثين عنه ؟

• نعم وجدته.

■ ولماذا لم ترتبطي به ؟

• لا أريد أن ارتبط بغير رضاء منهما ،وقد تحدثت معهما ،ووافق الولد مع بعض التحفظات ، ووافقت عليها ،والغريب أن البنت ترفض وبشدة ،وتهددني بترك البيت ، ولا أريد أن ارتبط بغير علمهما ،هي تريد أن يتم تأجيل الارتباط حتى ينهيا دراستهما ويتزوجا ،ويذهب كل إلى شقته ،حينها يكن بالإمكان أن أتزوج كيف أشاء.

■ وماذا في رأسك ؟

• ليس عندي إلا الحيرة في الأمر ،ولهذا جئت أتحدث معك ،وأسمع منك.

■ هل في حالة الزواج سيعيش معكم ؟ أم تعيشين معه ؟

• لقد تفهم الوضع وتحدث عن حل يرضى الجميع في الوقت الراهن حتى تتغير الظروف.

■ كيف ؟

• أن يتم الزواج ويكون اللقاء بيننا في شقته كلما أردنا ،وتكون حياتي مع أولادي كما هي ،ولكن قد أتغيب ليلة أو أكثر في الأسبوع وكأني في عمل ،وهذا يحدث دائما فكم كنت أتغيب باليوم واليومين عنهما وهما في سن أصغر من سنهما حاليا ،ورغم صعوبة الأمر عليه فقد أقترح هو هذا الاقتراح ،وقد عرضت عليه أن يتم الزواج ،ويتم بهذه الصورة دون علمهما ،لكنه رفض حرصا على صورتي أمامهما.

■ لاشك أن هذا الشخص يقدرك ،ويحرص عليك وعلى صورتك ،وأظن أنكما على معرفة قوية.

• ليس في الأمر سر عليك ،أنه المحاسب جلال محاسب الشركة ،وأظنك تعرفينه.

■ نعم أعرفه ،وهو شخص على خلق ،ومثقف وواع.

• ماذا أفعل ؟

■ أخبري الولد والفتاة بعزمك على تنفيذ الأمر ،وليختار كل ما يشاء.

• وفى حالة اصرار البنت على موقفها ،ماذا أفعل ؟

■ عليك أن تأخذي موقف الغاضب ،وتمنعي الحديث معها حتى تغير موقفها.

• وإذا لم تغير موقفها ؟

■ تزوجي ولتفعل ما تشاء.

• وإذا تركت البيت.

■ لن تتركه ،إنما هي تهدد فقط ،كما أنها ليست طفلة صغيرة ،عليك أن تتظاهري بعدم انشغالك بقرارها ،ومن ناحية أخرى تجعلين من أبنك حارسا عليها دون أن تخبريه بذلك مباشرة.

• أخاف أن أعمل بمشورتك ،وأندم بعدها.

■ اطمئني ،لن تندمي ،وسوف ترضى بالأمر الواقع ،المهم أن يكون ولدك بجوارك ومعك في كل خطوة.

وانتهي اللقاء ،وقامت كل واحدة إلى وجهتها ،ولكن أحلام قد وافقت مع نفسها على مشورة بيسان ،وقررت العمل بها.

١٩- ذكريات

عادت بيسان بعد لقائها وأحلام ،وكانت في طريق عودتها قد عادت الى ذكريات سلطان ،وكيف أن الأقدار كان لها رأى أخر في علاقتهما ،ولم تتوقف عند ذلك بل عادت بالذاكرة إلى فالح خطيبها الاول ،وكيف أنها مازالت تُحمل نفسها مسئولية استشهاد فالح.

وبدأت تنظر في حالها ،وما أصبحت عليه ،وهاهي تقترب من الأربعين ،وقد حققت استقرارا ماديا ،واستقرت في حياتها – وضحكت ضحكة ساخرة – وتساءلت أي استقرار هذا ،إذا لم يكن في الحياة رفيق درب يخفف كل عن الأخر أتراحه ويشاركه أفراحه ،وطفل يملئ الحياة بهجة ،ما أتعسك يا بيسان !!!

حتى علاقتك بالناس صارت علاقة روتينية ،ولم يعد في حياتك أصدقاء سوى أحلام ،حتى من تعرفين من بني وطنك لم يعد بينكما لقاء أو سؤال إلا إذا كان هناك ضرورة لذلك.

وتذكرت عند ذلك زميلة دراستها نرجس تلك الفتاة التي التقت معها بداية وجودها في مصر ،وعرضت عليها أن تعمل راقصة في الملهى التي تعمل به ،تذكرتها وابتسمت ساخرة وقالت كانت تريدني راقصة ،لقد كنت على حق حين رفضت عرضها ،والحمد لله قد حققت لنفسي وبنفسي أكثر مما كنت أحلم ،ولا شك أن سلطان – رحمه الله – كان صاحب النصيب الأكبر في هذا الاستقرار،ولكن حتى بدون سلطان لقد كنت استطيع أن أعيش حياة بها قدر لا بأس به من الاستقرار.

أنا مدينة لكل يد امتدت نحوى لتأخذ بيدي ،وأول هذه الأيادي يد أحلام – رغم بعض المواقف - ،ويد سلطان التي لم تمتد نحوى بل احتوتني ،ونقلت حياتي نقلة غير عادية في زمن قياسي.

دار برأسها كل ذلك وقررت البحث عن نرجس حتى تعرف أخبارها ،وماذا فعلت الأيام بها ،وربما تسمع أخبارا عمن كانت تعرفهم من زملاء دراستهم ،ولم يغادروا أرض الوطن ،وقررت بيسان أن تذهب إليها في الغد ،فهي مازالت تذكر عنوانها ، وتسأل عنها.

كانت أحلام قد وصلت إلى محل إقامتها ،وقبل صعودها مرت على المحل ،واطمأنت على أموره ،وسألت عن بعض الأشياء الخاصة بالعمل ،ولم تطل المكوث فيه وصعدت إلى شقتها ،وأبدلت ملابسها ،وتناولت فنجانا من القهوة ،وجلست في الشرفة تتأمل الليل الجميل ،ويا لليل القاهرة في مواجهة النيل الخالد من سحر وجمال.

واسترجعت ما قالت من رأى في موضوع زواج أحلام ،وزاد إعجابها بهذه السيدة التي تريد أن تعيش حياتها في إطار يتوافق مع الدين والقانون ودون مخالفة للأعراف الاجتماعية ،ورغبتها في الزواج وإصرارها عليه ،لقد قلت لها الرأي بصدق ،وتركت لها حرية القرار ،وأظن أنها سوف تتخذ القرار المناسب لحياتها ومصلحة الأبناء.

وسألت نفسها : لماذا لا ابحث عن زوج يشاركني حياتي الباقية ؟

لقد تمت خطبتي لفتى فلسطيني وهو فالح ولكنه استشهد ،وأظن أنى كنت أحد أسباب استشهاده ،ثم اتفاق مع سلطان السعودي ،وإذا بالموت يخطفه ،يا للموت من محطم لكل أحلامي ،سوف يكون ارتباطي هذه المرة متى وجدت الشخص المناسب ،وان لم يطلبني للزواج طلبته أنا.

٢٠- لقاء نرجس

استيقظت بيسان من نومها ،وأخذت حمامها ،وتناولت إفطارها وقهوتها ،وتجهزت للخروج ،ولقاء نرجس ،وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهرا ،فهي تعلم أن نرجس لا تستيقظ مبكرا ،فهي كائن ليلي بحكم عملها.

استقلت سيارتها وتحركت قاصدة نرجس ،وصلت إلى المكان الذي كانت تعرفه ،ومن حسن حظها أن العنوان لم يتغير ،وحين دقت جرس الباب ،فتحت لها فتاة يبدو أنها مساعدة لها أو مديرة المنزل ،وسألتها عن نرجس فأخبرتها أنها موجودة ،وأدخلتها وأجلستها حتى تبلغها.

جلست بيسان في الصالون ،وتأملت الصور العالقة على الحائط ،وهى صور للفنانة نرجس بملابس الرقص ،وكأنها نجمة من نجوم هذا الفن.

تناولت بيسان فنجانا من القهوة ،ولم تكن في عجلة من أمرها ،وانتظرت حتى جاءت نرجس ،وكانت في أجمل صورة لها ،وما إن رأت بيسان حتى صاحت :

- بيسان !! لم أتوقع زيارتك ،حقا إنها مفاجأة.
- أتمنى أن تكون مفاجأة سارة ،أو على الأقل غير مزعجة.
- لا ،لا إنها مفاجأة سعيدة بكل تأكيد.

وتعانقت نرجس وبيسان وطال العناق والقبلات ،ثم جلستا يتجاذبان أطراف الحديث :

- أظن عشر سنوات يا بيسان منذ أخر لقاء بيننا.

■ لا ،يضاف على العشرة ثلاث سنوات.

ودار الحديث بينهما حول أحوال كل واحدة منهن ،وما وصلت إليه في حياتها ،والحق يقال فقد اتفقتا في أن كل منهن قد حققت نجاحا ملحوظا في المجال الذي ارتضته لنفسها ،وحققت أيضا الاستقرار المادي ،واتفقتا أيضا في أنهن لم يرتبطن بأحد.

واستمر الحديث ما بين الماضي والحاضر ،وامتد حتى أيام الدراسة والأصدقاء القدامى والسؤال عن أخبارهم ،وتحدثت نرجس إلى بيسان بما تعرفه من أخبار تأتى إليها ممن تلتقي بهم ،وسألت نرجس بيسان :

- لما لم تتزوجي ؟

■ النصيب ،هل لديك من أتزوجه ؟!

- نعم لدى ،وقد سأل عنك ،وأنت تعرفينه.

■ من هذا ؟

- انه يزيد العبيدى ،الذي كان معنا بالجامعة.

■ يزيد ،نعم ،أعرفه ،وأذكره ،ولكن هل سافرت فلسطين والتقيت به.

- لا ،بل التقيت به هنا في مصر ،وهو موجود ومقيم هنا.

■ أظن أنه مع زوجته وأولاده.

• لا ،لم يتزوج.

■ ضحكت بيسان ضحكة ساخرة وقالت : أظن أن هذه الدفعة لم تتزوج فتياتها ولم يتزوج رجالها ،أنا كنت أتمنى لقائه.

• أنا أعرف عنوانه ،ورقم هاتفه ،ويمكنك التواصل معه.

وأمضت بيسان وقتا طويلا مع نرجس ،وتناولت الغداء معها ،وكتبت لها نرجس عنوان يزيد ورقم هاتفه ،وتعانقتا وانصرفت ،وفى طريق عودتها شعرت بان هذا اليوم قد جدد ارتباطها بالوطن التي ظنت أنه قد قل الارتباط به بسبب البعاد عنه.

لكنها أدركت أن الارتباط بالوطن لا يقل مهما بعدت المسافات وطالت السنوات ،قد ينشغل الناس في مشاكلهم ،وأعمالهم ،لكن لا ينسون أوطانهم.

شعرت بيسان أن لديها رغبة شديدة في لقاء يزيد العبيدى ،وتحرك داخلها ماض بعيد حول يزيد الطالب الثائر ،الذي كان يقود حركة الطلاب في الجامعة ،والذي كان محل إعجاب بالنسبة لها ،ولغيرها من الطالبات ،وقد حاول أكثر من مرة أن يتقرب إليها ،لكنها لم تفهم حينها.

وصلت بيسان حيث تسكن ،وقررت أن تمضى وقتا بالمحل للوقوف على شئونه ،وعندما حان وقت انتهاء العمل قامت إلى شقتها ،وأبدلت ملابسها ،وأسلمت إلى نوم عميق.

٢١- على موعد

كالمعتاد قامت بيسان من نومها ،وأخذت حمامها ،وتناولت إفطارها وقهوتها ،وعند العاشرة أخرجت رقم هاتف يزيد ،واتصلت عليه ،وجاء الرد :

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ،الأستاذ يزيد العبيدى.
- نعم ،أنا هو ،تحت أمرك.
- أنا بيسان.
- عفوا ،بيسان من ؟
- بيسان طوقان الفلسطينية ،ابنة خان يونس ،جامعة الأقصى.
- بيسان ،بيسان ،نعم ،نعم ،تذكرتك.
- كيف حالك أستاذ يزيد.
- أنا بخير ،كيف حالك يا بيسان ،لا داعي للتعامل الرسمي.
- كيف حالك يزيد.
- أنا بخير ،كيف حالك أنت.
- أود أن أراك.
- وأنا أيضا.
- هل لديك مانع أن نتناول الغداء معا ؟

- لا ،ليس لدى مانع ،لكن على حسابي.
- لا مشكلة ،المهم سوف نلتقي الساعة الرابعة ،مناسب لك.
- نعم مناسب ،واتفقا على المكان.

أنهت بيسان المكالمة ،وأغلقت الهاتف ،وعادت بالذاكرة إلى سنوات الجامعة ،وارتسمت على شفتيها ابتسامة ،وكأنها تقول في نفسها ،قد يكون القدر قد ادخر لي يزيد ،ولكن لا أدرى عنه أي شيء ،ولا حتى أدرى كيف صار شكله ،لا شك أن الأيام قد غيرت فيه كما غيرت فينا جميعا.

ظلت بيسان تفكر فيما تفكر فيه بعض الوقت ويختلط عليها الماضي بذكرياته مع المستقبل بأحلامه بعض الوقت.

ثم انتبهت إلى أن الوقت يمر ،وأن مكان اللقاء يحتاج ساعة على الأقل إذا كانت الطرق غير مزدحمة ولا يوجد أزمة مرورية ،فقامت وارتدت ملابس جذابة أنيقة ،وتعطرت بعطرها الباريسي الرائع ،وكأنها قد قررت أن تهاجمه بكل أسلحتها كأنثى ،وحملت حقيبة يدها وأغلقت شقتها ،ونزلت في دلال حتى وصلت سيارتها ،وركبت وأدارت المحرك ،وانطلقت في طريقها قاصدة يزيد بماضيها ، وأحلام غدها.

وصلت بيسان إلى المكان المتفق عليه ،واختارت مكانا هادئا في ركن من أركان المكان بعيدا عن الزحام ،وطلبت من مشرف الصالة ،أن يعد لهما المكان للجلوس على راحتهما ،فأشار لها برأسه بالموافقة مصحوبة بابتسامة لطيفة.

جلست بيسان في المكان الذي اختارته ،ولم يطل بها الوقت ،ووصل يزيد ،ووقف عند مدخل المطعم ينظر يمينا ويسارا ،وأخرج هاتفه للاتصال على بيسان ،وكانت بيسان قد رأته عند دخوله ،وحين اتصل ،وقفت مكانها ،وأشارت إليه ،ومشى نحوها.

ظلت بيسان واقفة حتى وصل يزيد إليها ،ومدت يدها وصافحت بحرارة ولهفة، ووضع يزيد يده الأخرى على يدها – وكم استراحت ليديه وهما يحتضنان يدها - ،وأطال السلام ،ثم جلسا ،وبعد التحية طلبا مشروبا باردا ،وطلبا الغداء ،واستمر الحديث بينهما من ذكريات الجامعة ،وتذكر بعض المواقف الطريفة ،ومشوار الحياة بعد التخرج ،والخروج من فلسطين ،وحدثته بيسان عن رحلتها إلى مصر ،ثم الكويت ،ثم السعودية ،ثم الاستقرار في مصر ،ولم تحدثه عن سلطان الحبيب أو الزوج الذي لم يمهلها القدر للارتباط به ،وحدثته عن مشروعها ،وحدثها يزيد عن مطاردات الاحتلال له ،وخروجه من فلسطين إلى مصر ثم سفره إلى فرنسا ،ثم كندا ،وعودته إلى مصر ،وكيف أن كل منهما في زحام الحياة قد نسى أن يكون له بيت وأسرة.

وتناولا الغداء ،والحديث بينهما ممتع وشيق ،ثم تناولا القهوة ،واعتدل يزيد ،وفى جدية يسأل بيسان :

- لما لا تفكرين في العودة إلى الوطن والزواج والاستقرار في فلسطين ؟

■ أفكر في الزواج ،لا أنكر ذلك ،أتمنى العيش في وطني تلك أغلى الامانى ،لكن أين الوطن ؟

أريد وطنا آمنا ،لا أريد وطنا تغتصب فيه النساء أمام زوجها ،وأولادها ،أريد وطنا لا يقتل فيه الأب أمام أولاده وكل جريمته أنه يرفض الاحتلال ،أريد وطنا لا تهدم فيه المنازل فوق رؤوس أهلها – وكأن يزيد قد فتح جرحا تحاول أن تتناسى آلامه –

- سوف يأتي يوما يا بيسان يكون لنا وطنا آمنا ،أنا لا شك عندي في ذلك.

■ متى هذا اليوم ؟!!

- سوف يظل كل جيل يبذل ما بوسعه ،ويسلم الراية للجيل التالي ،ويوصيه بتحرير الأرض ،أو الموت في سبيلها.

ساد الصمت بينهما ،وكأن المسافة بين الواقع والأمل قد ألجمت الألسنة ،وقطع يزيد الصمت وتحدث :

- اسمعي يا بيسان : لقد حققت فى رحلة حياتى قدرا من النجاح يسمح لى بحياة مستقرة فهل توافقين أن نرتبط ،ونبنى أسرة ،ونعيش ما تبقى من حياتنا ،ونساند قضيتنا بما نستطيع ،ونظل هنا في مصر حتى تعود ديارنا ، أليست كل بلاد العرب أوطاني ،أليست مصر قلب العروبة النابض ،لا أريد منك الرد الآن ،سوف أمهلك أسبوعا تفكرين في الأمر وانتظر ردك.

■ لا بأس يا يزيد ،سوف أفكر في الأمر ،وليكن اللقاء بيننا الأسبوع القادم ،وفى نفس المكان والموعد.

ومضى كل إلى وجهته ،وهما على موعد ،وقالت لنفسها : إن يزيد يرغب في الارتباط ببيسان التي كان يعرفها !! الم يعلم أن بيسان التي عرفها لم تعد موجودة بل بيسان كانت.

صدر للكاتب :

- مهلا أيها الحب مجموعة قصصية

عن دار يسطرون للطباعة والنشر

- حكايات من دفتر العشق مجموعة قصصية

- عن دار يسطرون للطباعة والنشر

- الريف الحائر رواية

- عن دار المعارف المصرية

- رغبات عابرة رواية

- عن دار الملتقى للنشر والتوزيع

الكاتب في سطور

- مواليد الفيوم في ١٩٦٥/٦/٢٩

- حصل على دبلوم المعلمين العامة عام ١٩٨٤ وحصل على ليسانس الآداب والتربية جامعة القاهرة عام ١٩٩٣ وحصل على الماجستير المصغر في القيادة وإدارة الموارد البشرية من المركز الدبلوماسي بالقاهرة عام ٢٠١٦ وحصل على دبلوم الدراسات الإسلامية بتقدير ممتاز عام ٢٠٢٣.

- عضو اتحاد كتاب جمهورية مصر العربية.

- متزوج وله خمسة أبناء.